وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

الموضوع

مشكلة الطبيعة الإنسانية في الفلسفة
-جون لوك أنموذجا-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:
-الهادي أمنة

إشراف الأستاذ:
أ. لصقع الربيع

السنة الجامعية : 2019-2020 م

مقدمة

يعتبر مفهوم الطبيعة الإنسانية أو البشرية من بين المفاهيم التي أثارت اهتمام الباحثين والفلاسفة والمفكرين لما تتميز به من تعقيدات على مستوى طبيعة تكوينها ولآثارها المختلفة على مستوى السلوك البشري ، وعندما نتحدث عن الطبيعة البشرية فإنه وجب علينا أن نفصلها عن تلك الطبيعة المادية الخارجية، فما يميز البشر ليس الجانب المادي وإنما الخصائص النفسية للإنسان، فقوى النفس البشرية هي الألزم بتحديد الطبيعة، وقد يعتقد الإنسان أن جميع سلوكاته وقراراته هي من تلقاء نفسه بحيث يستطيع التحكم فيها، لكننا لو دققنا في حقيقة الأمر فغننا نكتشف شيئا آخر، فأغلب قرارات الفرد وسلوكاته مصدرها هذا الجانب الخفي في كل فرد ، مما يؤدي بالتأثير على مشاعره ونسبيتها، لذلك وجب على الفرد فهم نفسه جيدا بالإضافة إلى محاولة فهم الناس من حوله حتى يستطيع فهم ما يبرر سلوكاته كفرد، وسلوكات الآخرين كجماعة.

وقد شهد مفهوم الطبيعة البشرية كثيرا من الخلافات بين المفكرين والفلاسفة باعتبار أن لها عدة أبعاد كالبيولوجيا البشرية وقوى النفس البشرية القائمة على الإدراك والتخيل والتعقل بالإضافة إلى الغريزة البشرية، والطبائع الاجتماعية والثقافية وهو ما يبين سبب اختلاف مفهوم الطبيعة البشرية من فلسفة إلى أخرى.

وتعد إشكالية الطبيعة البشرية محور هام في الفكر الغربي وخاصة من منظور الفلسفة التجريبية وعلى رأسها جون لوك، الذي سعى إلى بسط فلسفة بدت له شاملة حاول من خلالها معالجة مشكلة الطبيعة البشرية هل هي خيرة أم شريرة؟ بالإضافة إلى المشكلات الدينية والسياسية والتربوية التي تتخبط فيها المجتمعات الغربية بصفة عامة

ولقد حاولت في بحثي هذا الموسوم بمشكلة الطبيعة الإنسانية في الفلسفة الغربية جون لوك أنموذجا الإلمام بأفكار هذا الفيلسوف في هذا الموضوع ودراستها دراسة تحليلية ومناقشتها مناقشة موضوعية، انطلاقا من طرح الإشكال التالي:

– كيف قارب جون لوك مفهوم الطبيعة الانسانية أو البشرية ؟.

وتتفرع عن هذه الاشكالية جملة من المشكلات الجزئية ذات الصلة بها منها:

– ماهي المنطلقات الفكرية السابقة التي تناولت مفهوم الطبيعة البشرية والتي اطلع عليها جون لوك فوافق ما وافق منها وعارض ما عارض؟

– ما هي سمات الطبيعة البشرية الأساسية كما حددتها فلسفة جون لوك التجريبية؟

– إلى أي مدى وفق جون لوك في طروحاته ؟

ولمعالجة هذه الاشكالية بتفرعاتها الجزئية انتهجت خطة منهجية مكونة من مقدمة تضمنت التعريف بموضوع الدراسة واشكالية البحث وخاتمة عرضت فيها النتائج المتوصل اليها في هذا البحث و ثلاثة فصول كل فصل ينطوي على ثلاثة مباحث:

تناولت في الفصل الأول المعنون في سؤال مفهوم الطبيعة الانسانية مقاربة تاريخية مقاربة مفاهيمية لمفهوم الطبيعة البشرية باعتباره مدخلا لمشكلة البحث عرضت فيه مختلف آراء ومواقف بعض الفلاسفة عبر تاريخ الفكر الفلسفي في تحديد ماهية الطبيعة البشرية، وذلك قبل التطرق إلى وجهة نظر جون لوك في تحديده لمفهوم الطبيعة البشرية وذلك بغرض اكتشاف مدى أصالة أفكاره.

أما الفصل الثاني والموسوم بسؤال الطبيعة الانسانية في فلسفة جون لوك فاشتمل على عرض محوري لآراء جون لوك في فلسفته للطبيعة البشرية من خلال طرح بعض التساؤلات مثل: هل الفرد خير بطبعه أم شرير ؟ وكيف كانت الحياة في الحالة الطبيعية الأولى وكيف تعايش الأفراد ؟ لماذا تم الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية وبعبارة اخرى لماذا تم الانتقال إلى المجتمع السياسي ؟ .

أما الفصل الثالث والذي آثرت ان يكون له عنوان هو أثر فلسفة جون لوكفي الفكر الفلسفي فقد خصصته للتعرف على أثر فلسفة لوك في غيرها من الفلسفات السياسية و التربوية ومدى قبولها أو رفضها ، ثم التوقف معها وقفة نقدية موضوعية

إن معالجة هذه الإشكالية اقتضى مني اعتماد منهج ملائم لطبيعة موضوع البحث،

يمكنني من المعالجة الوافية له ، فكان اعتمادي في ذلك على المنهج التحليلي عندما يقتضي الأمر التحليل ، مصحوبا بالمنهج التاريخي في تتبع تطور مفهوم الطبيعة البشرية عبر تاريخ الفكر الفلسفي ، كما أن المنهج النقدي كان حاضرا عندما تم مناقشة أفكار جون لوك .

لم تكن انطلاقتي في البحث من عدم بل لقد استندت فيها إلى مجموعة من مصادره، وبعض من المراجع والرسائل الجامعية المتمثلة في:

- جون لوك رسالة في التسامح، ترجمة منى أبو سنة.
- جون لوك، في الحكم المدني، ترجمة ماجد فخري.
- رواية عبد المنعم عباس، جون لوك إمام الفلسفة التجريبية.
- عزمي إسلام، جون لوك.
- جوزايا رويس، روح الفلسفة الحديثة، أحمد الأنصاري.
- ديما عيسى محمود، الطبيعة البشرية عند فلاسفة التنوير الفرنسي وأبعادها التربوية، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في أصول التربية.

وكان من دواعي أسباب اختياري لهذا الموضوع هو التعرف على أهم الإشكاليات الفلسفية القديمة والحديثة، وهي محاولة تحديد ماهية الطبيعة البشرية بالإضافة إلى التعرف عن أهم أعمال الفيلسوف التجريبي جون لوك خاصة فيما تعلق بفكره حول الطبيعة البشرية للأفراد باعتبارها إشكالية معقدة ومتشابكة بهدف اكتشاف ماهيتها وخصائصها والتي من خلالها استطعت التعرف على أهم قوى النفس البشرية في مجالها الفلسفي.

ولقد واجهتني في إنجاز هذا البحث عدة صعوبات ومنها: صعوبة وتشابك وتشعب جوانب الطبيعة البشرية واختلاف أبعادها، سواء من الناحية النفسية أو البيولوجية أو الاجتماعية أو الثقافية ، مما صعب علي تحديدها ضمن المجال الفلسفي بالإضافة إلى

صعوبة التواصل مع لأستاذ المشرف بصفة مباشرة نظرا للوضع الصحي وتفشي مرض الكورونا كوفيد19، وعدم تمكني من الاستعانة بكتب المكتبات الجامعية، والاكتفاء فقط بالكتب المصورة، إلا أنه وبالرغم من ذلك تم تجاوز هذه الصعوبات بعون الله وبفضل وبإرادتي الجادة في العمل، وتشجيع والدي ، ومثابرة الأستاذ المشرف وحرصه وذلك بتقديم نصائحه وتوجيهاته لي عن بعد، نظرا للظروف الحالية التي نعيشها.

بقي أن أشير إلى الآفاق التي أطمح إلى تحقيقها من وراء هذه الدراسة ، وهي أن تكون مساهمة ايجابية في نطاق البحث العلمي، يمكن أن يستفيد منها كل طلاب الفلسفة خصوصا وجميع طلاب الفكر عموما .

الفصل الأول

في سؤال *مفهـــوم الطبيـــعة الإنســـانية(مقـــاربة تـــاريخية)*

المبحث الأول: مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفلسفة اليونانية.

1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر السوفسطائيين.
2. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر سقراط.
3. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر أفلاطون.
4. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر أرسطو.

المبحث الثاني: مفهوم الطبيعة الإنسانية في العصور الوسطى.

1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفلسفة المسيحية.

1.1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر القديس أوغسطين.

مفهوم الطبيعة الإنسانية مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر توما الإكويني.

2. مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفلسفة الإسلامية.

2 -1- مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم.

2-2 مفهوم الطبيعة الإنسانية عند المعتزلة.

المبحث الثالث: الطبيعة الإنسانية في العصر الحديث.

1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر ديكارت.
2. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر توماس هوبز.

المبحث الرابع: مفهوم الطبيعة الإنسانية الطبيعة الإنسانية في فلسفة التنوير.

1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر جون جاك روسو.

تمهيد:

امتازت الفلسفة اليونانية منذ نشأتها ومن خلال تاريخها وعصورها عن البحث عن أصل الوجود والتأمل في الطبيعة، غير أن انتقال الفلسفة من حقبة لأخرى هو ما جعل من التفكير الفلسفي يختلف من زمن لآخر، حيث كانت الفلسفة تهتم بالطبيعيات والبحث عن العلة الأولى التي أوجدت هذا الوجود، في حين كانت الطبيعة البشرية ينظر إليها على أنها مقابل للطبيعة الخارجية، وأن ما يميز الإنسان كفرد هو ما يقابله في الطبيعة كمادة، فمفكري الإغريق القدامى لم يكن شائكا لديهم دراسة الطبيعة البشرية كجانب عقلي وروحي وبشري، وإنما كانوا ينظرون إلى الطبيعة البشرية إلى جانب الطبيعة المادية كونهم كانوا من دعاة المذهب الطبيعي الذين يتبنون وحدة الوجود وأن أصل هذا الأخير يعود إلى عناصر مادية. فبعد ما كان اهتمام الفلسفة اليونانية مقتصرا على الطبيعة أنزلت الفلسفة إلى أرض الواقع مع ظهور حركات وفلاسفة تبنوا النزعة الإنسانية.

وأصبحت الفلسفة مسرح للطبيعة، ولكن أي طبيعة؟ إنها طبيعة البشر، حيث بات من الضروري البحث في أغوار طبيعة النفس الإنسانية بدلا من الطبيعة المادية وكان هذا بداية مع الحركة السوفسطائية التي أعلت من شأن الإنسان كونه يتميز بطبيعة عاقلة ينفرد بها عن باقي الكائنات الأخرى، ومع مجيء الفيلسوف الحكيم سقراط أصبح التركيز أكثر على محاولة معرفة النفس وبدأت الفلسفة تمتاز بالفكر المنطقي والنضوج العقلي والاهتمام بذات الإنسان كونه يحتوي على ظواهر نفسية وحالات شعورية، وحوادث عقلية باعتباره فاعل في مجالات الحياة الاجتماعية، المعرفية، الأخلاقية، أما في العصور الوسطى أصبح التركيز أكثر على الإيمان والوحي وتميزت هذه الحقبة بمحاولة التوفيق بين العقل والنقل بالإضافة إلى الخوض في طبيعة الإنسان الحرة وإرادته العاقلة في اختيار أفعاله وتمييز خيرها من شرها، ففي الديانات المسيحية والإسلامية اعتبرت طبيعة البشر خيرة باعتبار النفس مخلوق من الله، وأن الله لا يخلق إلا الخير، إلا أن هاته

الطبيعة فسدت بسبب ارتكابها الخطايا والذنوب، ويمكن التكفير عن هاته الذنوب من خلال العبادات.

أما الطبيعة البشرية عند المسلمين فكانت تتصارع فيها عنصري الخير والشر، وكان اهتمام الإسلام بطبيعة الفرد واضحا حيث أعلى من شأنه كونه يمتاز بملكة العقل عن باقي الكائنات الأخرى إلا أن الإنسان دائما ما يختار الخير وينتهي عن فعل الشر كون طبيعة الإنسان عند الفلاسفة المسلمين ومع الفرق الإسلامية تنقاد دائما لأوامر إلاهية مطلقة ولأوامر عقلية وجب السير على نهجها باعتباره الملكة التي تميز بين ما هو خير وبين ما هو شرير، ومع تطور كل فترة زمنية يظل البحث متواصلا في محاولة للتعرف على طبيعة هاته النفس البشرية ، ففي عصر النهضة فأصبح ينظر للفرد على أساس أنه آلة ينظر إليه كمحور للحياة الاقتصادية لا إلى شخصه، ومع بداية الفلسفة الحديثة منحى آخر في الاهتمام بذات الفرد وتحديدا مع "ديكارت" الذي رسخ لفكرة الأنا كوجود مستقل عن أي وجود خارجي أي بين الإنسان كذات وبين الطبيعة وهنا بدأ التساؤل ما إذا كانت الطبيعة البشرية تفكر وتشعر؟ خاصة وأن ديكارت أكد على أن النفس لا تعتمد على أي شيء مادي بل باعتبارها كائن يفكر فإنها تحرك ذاتها وحالاتها الفكرية وكذلك الانفعالية، ومع ديكارت تبين أن مفهوم الطبيعة البشرية قد نشأ بالانفصال عن مفهوم الطبيعة المادية وأصبح الإنسان مركزا ومحورا لكل الأسئلة الجوهرية الفلسفية والأخلاقية أما مع عصر التنوير فأصبح الفرد سلطة عليا وذلك من خلال التركيز على العقل وظهور اكتشافات نظرية علمية وقد بدأ الحديث والاكتشاف أكثر على المواضيع التي تخص الفرد مثل المواضيع السياسية والتربوية وهل طبيعة هذا الفرد خيرة أم شريرة؟ وهل تحمل بذورا طيبة أم لها طبيعة عدوانية اتجاه الآخرين؟ فالفلسفة اليونانية في جل مراحلها وعبر تاريخها كان محور اهتمامها التعرف على باطن النفس الإنسانية وعلى طبيعة هذا الفرد من جونبه الروحية والنفسية والعقلية كونه يمثل مركزا هاما في الحياة الإنسانية،

فوجب علينا التعرف على أهم محطات الفلسفة في معالجة طبيعة النفس البشرية، وكيف كانت نظرة كل مرحلة من مراحل الفلسفة حول هاته الطبيعة البشرية؟

المبحث الأول: مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفلسفة اليونانية

1- مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر السوفسطائيين Sophism

لقد امتازت الفلسفة اليوناينة في عصرها الأول ومنذ نشأتها مع الإغريق بالاهتمام بالوجود وبالطبيعة خاصة فيما يتعلق بالتساؤل حول أصل الوجود ومحاولة فهم وتفسير الكون بداية من طاليس الملطي (THALES) كونه أول من صاغ سؤال ما أصل الكون؟ وهو ما اعتبر بداية حقيقية للتفلسف كون الفلسفة من ميزاتها الدهشة والتساؤل.

"ولم يكن من المستغرب أن نجد الفلاسفة الملطيين يطرحون أسئلة عن الأصل الذي جاءت منه الأشياء جميعا، ولقد نُسب إلى طالس الملطي قوله: (إن الأشياء جميعا من الماء وعلى هذا النحو بدأت الفلسفة والعلم)"[1].

وعلى هذا اعتبر طاليس أن الماء هو أصل الكون فمنه انبعثت الموجودات ومنه تعود إليه، فكان هذا بداية رغبة العقل في التأمل وعن كيفية الوصول إلى المعرفة خاصة فيما تعلق بالبحث عن المصدر والعلة الأولى لوجود هذا الكون.

وبقي الفلاسفة في محاولة تفسيرهم لنشأة الكون وعن إيجاد المصدر الأول الذي انبعثت منه كل الموجودات حيث ظهرت بوادر التفكير العقلي المجرد في أصل العالم بعيدا عن التفكير الأسطوري الخرافي الذي ساد مع أشعار هزيود وهوميروس وتنوعت نظرة الفلاسفة في التساؤل عن من هو موجد هذا الوجود وهو ما كشف عن توجه العقل نحو التنظير في الوجود المادي المحسوس الذي مهد لولادة العلم الطبيعي ذي يأخذ بالعلل والأسباب في تفسير الطبيعة فأرجع الفلاسفة الطبيعيون أصل الموجودات إلى المادة: الماء والهواء والنار... الخ[2]، وركز الفلاسفة الأوائل عن البحث عن أصل الوجود وعلة

---

[1] برانتد راسل، حكمة الغرب، عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي، ترجمة فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1983، ج1، ص29.

[2] يوسف ميخائل أسعد، قادة الفكر الفلسفي، نبع الآداب والثقافة، مصر، د ط، د س، ص 5.

العلل وغيرها من الأفكار الميتافيزيقية إلى مجيء الحركة السوفسطائية والتي جاءت حاملة لأفكار إنسانية جديدة، فقد وجهوا اهتمامهم للبحث عن الأفكار العقلية لا إلى الطبيعة* المادية ومع هاته الحركة تم انتقال الفلسفة من الاهتمام بالخارج (خارج النفس الإنسانية، البحث في كل ما هو مادي) إلى الاهتمام بالداخل (داخل النفس الإنسانية، الاهتمام بكل ما يخص الإنسان، العقل، السياسة) فكانت الأفكار السوفسطائية متميزة عن الفلسفة الطبيعية الأولى كون موضوعها دراسة الإنسان باعتباره كائن عاقل يعيش في إطار الجماعة "فإن الفكر اليوناني كان في الدور الأول متجها نحو العالم الخارجي مستغرقا فيه أما العالم الداخلي الذي هو مصدر الأخلاق وموطنها، وأما العقل الذي هو مصدر المعرفة ومستقرها فلم يعن بهما بالذات ولكنه لم يلبث طويلا حتى طرأت عليه أحوال ساقته إلى الانشغال بهذه الناحية من الفلسفة فبذل فيها نشاطا عظيما وذهب في مسائلها كل مذهب فكانت النتيجة وضع المنطق والفلسفة الخلقية والسياسية"[1].

حيث جاءت فلسفة السوفسطائيين معبرة عن النزعة الإنسانية الذاتية وتجلى هذا من خلال اشتغالهم ومعالجتهم لمختلف القضايا والإشكاليات المتعلقة بحياة الفرد كالمجال

***الطبيعة:** هي القوة السارية في الأجسام التي يصل بها الموجود إلى كماله الطبيعي، وهذا المعنى هو الأصل الذي ترجع إليه جميع المعاني الفلسفية التي يدل عليها هذا اللفظ.

– طبيعة الشيء ماهيته وهي مجموع ما يتميز به الشيء من خواص نوعية كطبيعة الحياة، وطبيعة النفس، وطبيعة الفرد والمجتمع.

– والطبيعة هي ما يتميز به الإنسان من صفات فطرية وهي ضد الصفات المكتسبة.

يقال طبيعة الإنسان العاقلة أي مجموع وظائفه العقلية، الفطرية، ويقال أيضا طبيعة الإنسان الحسية أي دوافعه الغريزية، وحال الطبيعة عند روسو حال متخيلة متقدمة على الحضارة والحياة الاجتماعية المنظمة.

جميل صيليا، المعجم الفلسفي، ج2، من ط إلى ي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1912، ص 13، 15.

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2012، ص 61.

السياسي والأخلاقي والتربوي، بالإضافة إلى أنهم أخضعوا كل عقيدة وكل نظام للعقل، فالفلسفة السوفسطائية إنما مجدت الإنسان وجعلت منه كائن أسمى باعتباره يمتلك ملكة العقل والتفكير عن غيره من الكائنات[3].

"ويتبين هذا خاصة في تأكيد السفسطائيين لأهمية الفرد واعتباره نقطة البداية في كل نظرية فلسفية، فإن كان الفرد هو نقطة البداية في فلسفتهم السياسية فقد ترتب على ذلك أن نظروا إلى الدولة على أنها تقوم على تعاقد الأفراد واتفاقهم، أما في الأخلاق فقد انصرفت عنايتهم إلى البحث عن سعادة الفرد وتدعيم نياته والسعي إلى تحقيق النجاح في الحياة العملية"[1].

وبهذا فإن السوفسطائية مجدت قيمة الإنسان كما قدمت الكثير للمجتمع من خلال فلسفتهم التي قامت على التربية والأخلاق العملية فهي فلسفة عملية كونها تقوم على الإقناع والسفسطة في المجالات التي تخص الإنسان ولأنهم كانوا منشغلين بالأمور المتعلقة بالأرض أي ما تخص الواقع البشري ولم تكن تعنيهم أمور السماء أي الاشتغال بأصل الوجود وعناصر الطبيعة كما كان سائدا قبلهم.

"وسنرى أن السفسطائيين مع سقراط معارضهم الأكبر من حيث أنهم يتجهون مثله إلى دراسة الإنسان ويركزون اهتماماتهم على الحياة الإنسانية... ويبدو أنه قد كان لهذه النزعة السفسطائية تأثير بالغ على المجتمع اليوناني وكذلك الفكر اليوناني، فبعد أن كان

[1] أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1998، ص 118.

الفرد مغمورا في ظل نظام جماعي وجه السفسطائيون النظر إلى كيانه الفردي وإلى ذاته"[1].

"فهذه النزعة الإنسانية التي تعقد رجاءها كله على الفن والثقافة يشهد عليها المطلع المشهور من كتاب بروتاغوراس. الإنسان مقياس الأشياء، مقياس وجود الموجود منها ومقياس لاوجود اللاموجود منها وفضلا عن ذلك لا يجوز للإنسان أن يشغل نفسه بغير الشؤون الإنسانية وحدها، أما الآلهة فلا يسعنا أن نعلم إن كانت موجودة أو غير موجودة، فعقبات كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم وأخصها غموض الموضوع وقصر الحياة. وهذا القول هو بمثابة برنامج كامل لمن يصبو إلى ثقافة إنسانية وعقلانية والإنسان بوجه عام هو بيت القصيد"[2].

فالحركة السفسطائية اهتمت اهتماما بالغا بالحياة الاجتماعية وبدراسة الإنسان كونه فاعلا ضمن هاته الجماعة وركزت على الجوانب المتعلقة بالإنسان مثل طبيعة اللغة، الثقافة، والتربية. كما امتازوا بالجدل والخطابة والسفسطة والبلاغة والفصاحة بغرض إقناع الأفراد اليونان وكان ظهور هذه الجماعة لتلبية الحاجة الفكرية في المجتمع الإغريقي بصفة عامة، والمجتمع الأثيني بصفة خاصة، حيث ساهمت في تكوين الفكر الروحي والذاتي والحضاري للفلسفة اليونانية.

ويقول زيلر: "إن السوفسطائية هي أولا وقبل كل شيء فلسفة من فلسفات الحضارة وهي متميزة عن الفلسفة الطبيعية التي سبقتها في الموضوع، والتي ركزت جهدها فيه،

[1] محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط2، 2014، ص 92، 94.

[2] اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، الفلسفة اليونانية، ترجمة جورج طراشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1987، الجزء الأول، ص 108.

وموضوعها هو الإنسان كفرد وكائن اجتماعي جنبا لجنب مع الثقافة التي قامت بإيداعها سواء في اللغة أم الدين، أم في الفن، أم في الشعر، أم في الأخلاق، أم في السياسة".[1] ويؤكد بروتاغوراس PROTAGORS (485-411) على الفرد باعتباره ذات بشرية، ومحور وأساس فاعل للطبيعة الإنسانية وهو ما أكده في مقولته الشهيرة الإنسان مقياس الأشياء جميعها، أي ما يبدو لي حقيقة فهو كذلك، وما يبدو لغيري حقيقي فهو صادق وحقيقي بالنسبة له أيضا، "فالإنسان مقياس الأشياء جميعا، هو مقياس وجود ما يوجد منها، ومقياس لاوجود ما لا يوجد"[2].

واهتمت السوفسطائية بالنزعة الفردية خاصة كون الإنسان باعتباره كائن يتميز بالعقل والحواس. فهو مكون من ذات مفكرة وموضوع للفكر "فهناك الأنا التي تفكر، وهناك المفكر فيه، فالفاعل هو الذي يفكر والموضوع هو ما يجري التفكير فيه"[3].

"في حين يقر "بروتاجواس" في محاورة أفلاطون التي تحمل اسمه أن الوظيفة التربوية للسفسطائي استمرار للمؤسسات التربوية التقليدية في المجتمع، بمعنى أنها تنقل الفضائل الاجتماعية الأساسية في العدل وضبط النفس"[4].

ومن خلال اهتمام السفسطائيين بالنزعة الإنسانية، ومن خلال تركيزهم على ملكة العقل باعتباره ملكة تميز بين الخطأ والصواب، ومن خلال تركيزهم على الجانب التربوي والأخلاقي الخاص بالذات الإنسانية، فإن السفسطائية قد ركزت على طبيعة البشر* الخيرة كونها ركزت على الفلسفة العملية والأخلاقية ودعت إلى اتباع الفضيلة، وعندما

[1] يوسف ميخائيل أسعد، قادة الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ص 125.
[2] نفسه، ص 129.
[3] وولتر تسيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 1984، ص 102.
[4] دليل اكسفورد، الفلسفة، مرجع سابق ص 467.

يصدر العقل أخلاقا تربوية فهو تابع من إرادة وطبيعة الإنسان الخيرة، وهو ما أكد عليه المذهب السوفسطائي القائل: "إن الحقيقة في ما أعتقد (أنا)، والخير هو ما أختار أن أفعله (أنا)"[1]، وبالتالي فالفرد هو ما يختار الفعل الخير، والفعل الشرير، إلا أن تركيزهم على تعليم الفضائل، واهتمامهم بالمجال التربوي، هو ما نستنتج منه أن طبيعة الفرد كانت تحمل بذورا طيبة كونهم ركزوا اهتمامهم على مجالات التربية.

"وعلى نحو من العمق في المضمون التربوي للفلسفة السفسطائية تجد أن السفسطائيين قد نظروا إلى الطبيعة الإنسانية نظرة متفائلة، وآمنوا بقدرة هذه الطبيعة على التطور والرقي إذا عرفت الطريق الحقيقي المؤدي إلى ذلك. ولقد رأت السفسطائية أن هذا الطريق هو طريق الثقافة العقلية، وبناء الشخصية الإنسانية بناء جيدا"[2].

"ومن خلال هذه النظرة التي تعلي من شأن الإنسان وتمجد حريته أكد السفسطائيون أن طبيعة الإنسان خيرة بمجملها، وكل ذلك يعود إلى الإرادة الحرة للإنسان، والطبيعة الإنسانية يتنازعها عنصري الخير والشر، وهي تختار الخير عن رضا واقتناع ذاتي به، معتبرين الأشياء الخارجية كالثروة والأطفال والمناصب عبارة عن أصول محايدة لا خيرة،

---

[1] وولتر تسيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 108.

***الطبيعة البشرية**: النفس البشرية عالم من التشعبات تحركها مصادر أساسية للسلوك تتبادل في وظائفها وهي الجانب العقلي، والجانب الانفعالي، والجانب النزوعي كالدوافع والميول. وتعد النفس البشرية مصدرا أساسيا من مصادر السلوك الإنساني على اعتبار مسؤوليتها عن تحديده حيث أن السلوك الإنساني تتحكم فيه الملكات العقلية مثل التفكير، الإرادة، والتعلم والانتباه، والتذكر والتحليل = =وكذا الانفعالات الوجدانية كالإحساس باللذة والألم أو الفرح والحزن أو الخوف أو الغضب وما يرغب به أو ينفر منه.

عليان عبد الله الحولي، فايز كمال شلدان، خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم وانعكاساتها التربوية، متاح على: www.pdffactory.com ص 22.

[2] نورة سعد سلطان القحطاني، الأصول الفلسفية وتطبيقاتها التربوية، دار العبيكات للنسر، الرياض، السعودية، ط1، 2018، ص 62.

ولا شريرة، معتبرين أننا نحن الذين نجعلها تنتمي إلى هذه الطرق، فهم يعظمون الصلابة الإنسانية وقدرة الإنسان على مقاومة كل أشكال الإغواء، وقيامه بالاختيار السليم للفضيلة"[1].

فيمكن القول أن الفلسفة السوفسطائية إنما كان مضمونها حول الطبيعة الإنسانية، وركزت على النزعة الفردية، إما كانت فلسفة عملية كونها امتازت بالجانب العملي العلمي، من خلال وصول فلسفتهم إلى تعليم الشباب اليوناني الأخلاق والتربية، إلا أن هناك بعضا من المغالطات حملتها هاته الفلسفة خاصة فيما تعلق بتعليم الشباب اليوناني الفلسفة، وتغليطهم وتعليمهم دون أية قواعد ولا مناهج ولا براهين علمية، وبقيت على حال تغليط الشباب اليوناني إلى مجيء سقراط الذي اعتبر فلسفتهم ضرب من المغالطة، واعتبرها بعيدة عن الوصول إلى الحقيقة والمعرفة وهو ما جعله محاولا تهديم فلسفتهم، وذلك من خلال معالجته الإشكاليات المتمركزة حول طبيعة الفرد وبنائه لفلسفة حقة قائمة على المنهج السقراطي الذي يشمل الفلسفة والحكمة والمنطق وعلم التربية والأخلاق وهي المجالات التي تشمل الفرد وتساهم في فهم طبيعة وحل مشاكل الحياة.

"وأكدت السوفسطائية أن لكل إنسان أن يعقل ما يقوى عليه وهي شر، والطبيعة هي الخير، والسير على الطبيعة هو الأساس، وذلك لأن النجاح في الحياة هو نفسه أكبر درجة من الظلم، وهذا يعني أن الصواب أو الخير بالنسبة إلى كل إنسان هو أن يفعل ما يلذ له أو ما يحلو له ويروقه، أي أن الفضيلة هي لذة الفرد"[2]

[1] ديما عيسى محمود، الطبيعة البشرية عند فلاسفة التنوير الفرنسي وأبعادها التربوية، دراسة تحليلة مقارنة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في أصول التربية، محمود على محمد، كلية التربية، جامعة دمشق 2015، ص 21.

[2] حسين حمزة شهيد، الأخلاق في فكر أفلاطون الفلسفي، العدد العاشر، كلية الآداب، قسم الفلسفة، جامعة الكوفة، العراق، 2008، ص 261.

فالطبيعة البشرية في الفلسفة السوفسطائية خيرة لأنها مؤسسة على مبدأ اللذة وتحاشي الألم.

2- مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر سقراط: (470-399 ق.م) SOCRATE

يعد الفيلسوف اليوناني سقراط أول من أنزل الفلسفة من سماء العقول الفلكية إلى الواقع، وكان هو الآخر جل اهتمامه بالفرد، ومحاولة التعرف حول الطبيعة البشرية، حيث أن اهتمام الفلسفة في الحقبة السقراطية قد تحول إلى التساؤل عن المبدأ الأول للوجود ومن أوجده إلى التساؤل عن طبيعة الإنسان وكيفية معرفة ذاته.

"واشتد سقراط الميل للحكمة في سن مبكرة فأخذ يغذي عقله ويهذب نفسه لأنه فهم الحكمة على أنها كمال للعلم لكمال العمل، فمن الناحية العقلية استفاد من مناهج السوفسطائيين ولم يأخذ شكوكهم، ونظر في الطبيعيات والرياضيات واقتنع أن العلم إنما هو العلم بالنفس لأجل تقويمها واتخذ شعارا له كلمة في معبد دلف هي (إعرف نفسك بنفسك) ومن الناحية الخلقية كان يغالب مزاجه الحاد ويقسو على جسمه القوي ليروضه على طاعة العقل"[1].

---

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ص 68.

***سقراط** (399- 470 ق.م): فيلسوف أثيني، معلم أفلاطون، وهو أحد أهم الشخصيات، وأكثرها غموضا في تاريخ الفلسفة، إنه مهم بسبب علاقته بأفلاطون التي كانت حاسمة في تطوره، ومن ثم في تطور الكثير من الفلسفة اللاحقة، وغامض لأنه لم يكتب شيئا بنفسه. أمضى حياته بالنقاش الفلسفي، أمضى حياته بالنقاش الفلسفي، اشتهر أنه بناء. إن أفلاطون يصر على أنه لم يتقاض مالا على تفلسفه وأن اهتماماته قد انتقلت إلى قضايا السلوك وأساسه، أسهم بامتياز في المعارك، وناصر بشدة في القانونية والعدالة. اشتهر بفلسفته الشهيرة التي لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا.

نجيب الحصادي، دليل اكسفورد، الفلسفة، الجزء الأول من أ إلى ط، ترجمة تدهوندرتش، تحرير الترجمة منصور محمد البابور، محمد حسن أبو بكر، مراجعة اللغة عبد القادر الطلعي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، دط، 2003، ص 469.

"وهكذا فقد اتجه إلى سبر غور الروح الإنسانية يستطلع الافتراضات، ويستوجب اليقينيات، وإذا تحدث عن الناس عن العدالة المتعارفة كان يسألهم بهدوء ما هي هذه العدالة؟ وماذا تعنون بهذه الكلمات المجردة؟ وماذا تعنون بكلمة الشرف والفضيلة والأخلاق الوطنية؟ وماذا تعني بنفسك؟ لقد أحب سقراط أن يتناول بالبحث والسؤال مثل هذ الأسئلة الأخلاقية والنفسانية"[1].

وهو ما أكد أن سقراط* قد ركز على طبيعة البشر وأكد على أن الذات الإنسانية إنما تشتل على الفضيلة والأخلاق والشرف، فعلى الإنسان دائما أن يتبع الفضائل، ويبتعد عن الرذائل، كون الفضيلة عنده هي أسمى المراتب وهي ما يميز الإنسان العاقل، وتدل على كماله، فطبيعة الإنسان إنما هي خيرة كونها دائما تحث على الخير، وتعمل جاهدة للابتعاد عن الشر، محتكمة في ذلك إلى العقل، كونه الملكة التي تميز بين ما هو خير، وما هو شر، ما هو فضيلة وما هو رذيلة، ما هو معرفة وما هو جهل، ومن خلال عنصر العقل أقر سقراط بدوره في الحصول على المعارف، وهو ما يؤكد أن طبيعة الإنسان العاقلة تشمل على الطبيعة الخيرة كونها تمتاز بالمعرفة لا بالجهل.

"وقد يكون في الرجل الذكي العاقل نفس طابع العنف والبواعث والدوافع بطريقة فضل من الجاهل على الشريعة، والسيطرة الخارجية، وقد تكون جميع الخطايا أخطاء، أو تحيزا في الرؤية، وضعف أو حماقة، وقد يكون في الرجل الذكي والعاقل نفس طابع العنف الدوافع بطريقة أفضل من الجاهل، ففي المجتمع الذي يقوم حكمه على العقل، هو المجتمع الذي يعيد الفرد في سلطات والسعة أكثر مما أخذ منه في حرية مقيدة، وبكن

[1] ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988، ص 12.

فائدة كل شخص في سلوكه، وولائه إلى المجتمع، وبذلك فإن الحاجة تقتضي بصيرة واضحة لضمان السلم والنية الطيبة"[1].

كما دعا سقراط إلى ضرورة تبني المعرفة على مستوى النفس الإنسانية وفي المجتمعات، وركز على محبة الحكمة الخلقية، واتباع ملكة العقل باعتباره أساس بناء الذات الفردية، ومن خلال يصل الفرد إلى مستوى أعلى من المعارف والفضائل، ومن خلال ذلك فإن النفس دائما تتجنب اتباع الهوى وتبتعد عن الشر، أما الطبيعة الخيرة فهي من تمتاز بالمعرفة والفضيلة وهو ما أكده سقراط.

"إن حقيقة الإنسان هي نفسه، فبمعرفة الإنسان لنفسه، ليس معناها معرفته لجسمه بل ذلك العنصر الإلاهي الذي يوجد في أعماق وجوده، فالنفس تحتوي على العقل الذي يطلق عليه سقراط أحيانا ظل الله، ومعنى ذلك أن الإنسان إذا محص نفسه رأي فيها الإله، أي اهتدى إليه، وتلك هي المعرفة الأولى التي يجب تحصيلها قبل كل معرفة سواها، لأنه هي التي تتيح للمرء معرفة نفسه والوقوف على الحقائق الأخرى"[2].

كما جعل سقراط من النفس نقطة أولى في كل أبحاثه الفلسفية ثم راح يتفرغ إلى الأبحاث الفلسفية الأخرى كالجماليات والطبيعيات، وهذا كون مبحث النفس الإنسانية والاشتغال على طبيعتها مبحث وجه التركيز عليه، ذلك أن النفس البشرية مفتاح لكل المجالات الأخرى، ولقد اشتهر سقراط بالحكمة وسمو الفكر، وحاول أن يؤسس نظاما أخلاقيا وفلسفة إنسانية قائمة على العقل الإنساني، وذلك بديلا عن العقائد اللاهوتية والميتافيزيقة التي كانت سائدة من قبل، فوجب على الإنسان معرفة نفسه لأنه كلما عرف ذاته ازدادت قدرة العقل لديه على اختيار مبادئ وسلوكات سليمة وفاضلة.

---

[1] ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، مرجع سابق ص 14.

[2] حياة بنت سعيد بن عمر بأخضر، النفس عند الفلاسفة الإغريق، مجلة جامعة أم القرى، العدد 46، مكة المكرمة، 143 هـ، ص 119.

" فالعلم بالنفس هو علاج وتقويم لهذه النفس، فلكي يصلح الإنسان نفسه يجب أن يعرفها أولا فيحلل الأفكار التي يعج بها ذهنه، ويكتشف بنفسه الحقائق الفطرية التي بداخله، وهي حقائق لو عرفها لتوصل إلى الحق والفضيلة والجمال، وبذا تكون معرفة في فلسفة سقراط مناط الفكر والسلوك والأساس الأول لكل حق وخير وجمال"[1].

ومن هنا تبين لنا حسب سقراط أن كل سلوك شنيء هو وليد الجهل، وأن المعرفة عنده تتحقق من خلال الفضيلة والسلوك الخير، فالإنسان العاقل الحكيم ذو المعرفة إنما تكون نفسه ذات طبيعة خيرة، كون نتائج سلوكاتها تكون سليمة وفاضلة ومفيدة على النفس، وعلى المجتمع، وعلى الدولة. ويؤكد سقراط أن طبيعة البشر خيرة كونها تحتوي على ضمير مستيقظ حكين يأمرها باتباع الفضيلة، وتجنب الرذيلة، والابتعاد عن شهوات وملذات البدن الشريرة، فإن صلاح الذات مرتبط بالمعرفة، وفسادها مرتبط بالجهل.

"هكذا يكون قوام طريقة سقراط، أن تحمل الناس على معرفة أنفسهم بأنفسهم، وغرضه من تمكنه أن يبين لهم أن المهمة عسيرة، وأنهم يعتقدون خطأ أنهم يعرفون أنفسهم، وأخيرا فإن مذهبه إن جاز القول أن له مذهبا هو أن هذه المهمة ضرورية، فلا أحد شرير بطوع إرادته، وكل شر إنما مصدره جهل بالذات يحسب نفسه علما، والعلم الوحيد الذي يدعيه سقراط لنفسه هو معرفته بأنه لا يعرف شيئا"[2].

هذا تعتبر الفلسفة اليونانية هي الأساس الأول والمركز لكل الفلسفات والمراحل اللاحقة، ومن خلال تطور دراساتها الفلسفية والمنطقية توسع الفكر في العصر الوسيط، سواء في الفلسفة المسيحية أو الفلسفة الإسلامية، ويعد موضوع الطبيعة البشرية إحدى المواضيع الفلسفية التي عالجها واشتغل عليها الفلاسفة اليونان، واختلف حولها خاصة

[1] نفسه، الصفحة نفسها.

[2] اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 125.

فيما تعلق بالجانب الذاتي والروحي، وعن طبيعة هاته النفس هل هي خيرة أم شريرة، ولقد كانت الغاية القصوى من دراسة طبيعة البشر في المرحلة اليونانية هي تهذيب النفس وتحقيق كمالها، وذلك من خلال الدعوة إلى كل ما هو خير قصد تحقيق السعادة، ونيل العلم، وبلوغ إلى مراتب المعرفة الحقة، والابتعاد عن كل ما هو شر صادر عن الشوائب البدنية والتي بدورها تصرف النفس البشرية عن خيرها وفضيلتها.

3- مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر أفلاطون (374 – 427 ق.م):

اهتم أفلاطون بمذهب النفس الإنسانية مثل أستاذه سقراط، خاصة فيما تعلق بنقل محور التفكير الإنساني من الطبيعة إلى الإنسان، وكانت معظم محاوراته على لسان أستاذه. ولقد ركز أفلاطون على نظريته في النفس من خلال تأكيده على الاتجاه الثنائي، باعتبار أن النفس منفصلة عن الجسد، حيث ميز بيم العالم المعقول والعالم المحسوس، كما ركز على الجانب الأخلاقي المثالي للنفس البشرية، مؤكدا في ذلك أن النفس تسعى دائما لبلوغ الفضائل.

"ولأفلاطون نظرية أخلاقية تقوم على نظريته في طبيعة النفس يوصي فيها بوجوب تدريب الإنسان على مقاومة شهواته الجسدية، وميوله الجامحة، وحبه للشهرة والسيطرة، وأن يصبح العقل رائد السلوك، فإذا حدث التناسق بين شهوات الجسد وانفعال الشجاعة وأوامر العقل صفت النفس وتجردت من علائق المادة"[1].

ولذلك فإن أفلاطون اهتم بطبيعة الإنسان، وأكد على النفس البشرية تسعى دائما لبلوغ الكمال والفضائل فهي ثابتة، مثالية، ذات طبيعة خيرة كونها دائما تحتكم إلى العقل في إدارة سلوكاتها والموجهة إلى بلوغ الفضائل وتجنب الرذائل، باعتبار أن النفس هي

[1] محمود فهمي زيدان، في النفس والجسد، بحث في الفلسفة المعاصرة، دار النهضة الغربية، بيروت، لبنان، دط، 1980، ص 19.

مصدر السلوك الإنساني الخيّر، وأكد مثل أستاذه سقراط على أن المعرفة هي الخير والجهل هو الشر والرذيلة "وإننا نجد أن أفلاطون خلال الفترة التي سميت بالفترة السقراطية في بحثه المتعلق بالأخلاق قد انتهى إلى الوقوف على وحدة الخير، وبتعبير آخر فإن الأسماء التي تطلق على الفضائل المتباينة قد تبدت له ألفاظا كثيرة تعبر عن اتجاه أخلاقي واحد، وهو في الوقت نفسه قد أعطى صوته لحتمية معرفية تجعل سلوك الإنسان معتمدا على معرفته بالقيم الخلقية، وفي ضوء هذه النظرة فإن الشر يبدو بمثابة خطأ يمكن التخلص منه بواسطة المعرفة"[1].

ومن خلال اهتمام أفلاطون بطبيعة النفس قسمها إلى ثلاثة أقسام: النفس العاقلة ومركزها الرأس، وهي مسؤولة عن التفكير وتختص بالإنسان دون غيره، والنفس الغضبية ومركزه الصدر وهي مسؤولة عن الانفعالات الإيجابية كالشجاعة والكرم وهذه فضائل يحثنا علينا العقل، والنفس الشهوانية مركزها البطن وهي مسؤولة عن إشباع الشهوات المادية، فالحكمة هي فضيلة العقل، والعفة فضيلة النفس الشهوانية، وأما الشجاعة فهي وسط بينهما وهي فضيلة النفس الغضبية.[2]

واعتبر أفلاطون أن الحكمة هي أساس وأعلى المراتب، بحيث أن رغبات وأهواء النفس تنقاد إلى العقل الذي هو مصدر الخير والفضائل، وفيه تكمن السعادو والوصول إلى أعلى مراتب الكمال. إذا فطبيعة الإنسان الخيرة تنقاد دائما بفضل الحكمة إلى الخير، وتتجنب كل ما هو شر.

"والفضائل ثلاث، تدير قوى نفس الثلاث، الحكمة، فضيلة العقل تكمله بالحق، والعفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الأهواء، فتترك النفس هادئة، والعقل حرا، ويتوسط

[1] يوسف ميخائل أسعد، قادة الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ص 191.

[2] محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، مرجع سابق، ص 206.

هذين الطرفين الشجاعة، وهي فضيلة القوة الغضبية، تساعد العقل على الشهوانية فتقاوم إغراء اللذة، ومخافة الألم، والحكمة أولى الفضائل ومبدؤها، فلولا الحكمة لجرت الشهوانية على خليقتها وانقادت لها الغضبية، ولو لم تكن العفة والشجاعة شرطين للحكمة تمهدان لها السبيل، وتتشرفان بخدمتها لما خرجنا من دائرة المنفعة إلى دائرة الفضيلة"[1].

واعتبر أفلاطون أن طبيعة الإنسان خيرة باعتبار أن النفس كانت تحيا في عالم المثل، عالم الكمال والخير الأسمى، إلا أنه وبمجرد اتصالها بالبدن أصبحت طبائعها تتميز بالشرور نتيجة لانقيادها لغريزتها بغرض إشباع شهواتها.

فإن أفلاطون يؤكد أن عنصري الخير والشر تتنازع بينهما طبيعة النفس البشرية، وبفضل بلوغ الإنسان أعلى درجات الحكمة، وبفضل العقل الذي أقر به أفلاطون وهو ميزة الإنسان، تتوازن طبائع البشر ويصبح هو حجر الأساس في استقامة السلوك وصفاته مما يساهم في بناء شخصية مثالية كمالية.

4- مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر أرسطو (322 – 384 ق.م):

اهتم أرسطو طاليس بطبيعة الإنسان البشرية، باعتباره تحدث عن الإنسان وقد نجح في ذلك، مقتفيا بأثر أستاذيه سقراط وأفلاطون في نقل محور التفكير الإنساني والفلسفي من الطبيعة المادية إلى الإنسان. "واعتبر أرسطو أعظم فيلسوف جامع لكل فروع المعرفة الإنسانية في تاريخ البشرية كلها، ويمتاز على أستاذه أفلاطون بدقة المنهج واستقامة البراهين، والاستناد إلى التجربة الواقعية، وهو واضع علم المنطق كله تقريبا ومن هنا لقب بالمعلم الأول، وصاحب المنطق"[2].

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ص 115.

[2] عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، الجزء الأول، من أ إلى س، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1، 1984، ص 98.

ولقد كان المفهوم الأعمق لدى أرسطو عن الطبيعة البشرية يتجلى في نظريته عن النفس الإنسانية والتي قسمها إلى ثلاثة أقسام وهي" النفس النباتية أو القوة الغازية وهي أولى قوى النفس وقد توجد في جميع الكائنات، ولها وظيفتان التوليد والتغذية، فالكائن الحي إنما يستمر في وجوده وتوالده ونموه من خلال الغذاء، والنفس الحاسة التي تشمل بالإضافة إلى قوى النفس النامية والتي تنقسم إلى محركة ومدركة، فالقوة المحركة تندفع بالنزوع والرغبة، والنفس الناطقة التي تنفرد بامتلاكها العقل"[1].

وبذلك فإن أرسطو تحدث عن قوى النفس، فالقوة الغزية تشرك فيها جميع الكائنات، وهي التي تساعد على حفظ البقاء إلى القوة المحركة، والتي تندفع بالنزوع عن فعل، والرغبة في فعله إذا كان فاضل، وأخيرا القوة الناطقة أو العاقلة المفكرة، وهي المرتبطة بطبيعة الإنسان البشرية كون العقل هو الأساس في اختيار الطبائع الخيرة، والابتعاد عن الطبائع الشريرة، بحيث أن إشباع حاجات ورغبات الإنسان تكون بناء على ضوء العقل، بحيث يصبح الوحيد المسؤول عن القوى الأخرى، فالطبيعة البشرية في نظر أرسطو تكمن في تقسيم هاته الأنفس، فالفروق الموجودة بين هاته القوى هي من تحدد طبائعهم الفطرية والبشرية، إلا أن الإنسان عليه أن يعيش ضمن القوة العاقلة المتميزة بالحكمة، وهذا وفق ما تقتضيه الطبيعة البشرية من إشباع حاجات ونزوات، وهو ما كان له علاقة وثيقة بنظريته في الأخلاق، فالإنسان العاقل هو من يسعى إلى الخير والفضيلة، ويتجنب كل ما هو شر ورذيلة، بالإضافة إلى تدريب الفرد لسلوكات طيبة تجعل من طبيعة الفرد البشرية أن تكون خيرة.

"ويضع أرسطو كل تأييده على أهمية العادة في الأخلاقيات، فبالعادات الطيبة المهذبة وحدها تمكن للإنسان أن يصبح خيرا، فإذا كانت الفضيلة تقوم في سيطرة العقل

[1] حامد إبراهيم، نظرية النفس بين أرسطو وابن سينا، العدد 19، كلية الآداب، قسم الفلسفة، جامعة دمشق، سوريا، 2003، ص 206، 207.

على الشهوات، فإنها تتركب من مكونين العقل والشهوة، كلاهما يجب أن يكونا حاضرين، ويجب أن تكون هناك انفعالات حتى تمكن السيطرة عليها"[1].

"ولكي نلم بجوهر النظرية الأخلاقية عند أرسطو ينبغي أن نقول شيئا عن نظرية النفس عنده، فهو يستعير من أفلاطون التقسيم الثلاثي للنفس، فيتحدث عن النفس العادية أو النامية، وعن النفس الحاسة، وعن النفس العاقلة، وأولى هذه النفوس تنتمي إلى جميع الكائنات الحية لأن لديها كلها تمثيلا غذائيا، أما الحساسة فتنتمي إلى الحيوانات والبشر، لا إلى النباتات، على حين إن العقل وفق على الجنس البشري، ولا تظهر الأخلاق إلا على المستوى العاقل"[2].

وأكد أرسطو أنه على الإنسان أن ينقاد للقوة العاقلة باعتبارها هي من تضمن التوازن الأخلاقي لطبيعته البشرية، باعتبار ملكة العقل تميز بين الفضائل والرذائل.

"وتنشأ المشكلة الأخلاقية عندما تسأل عن غاية الحياة البشرية، وهنا يرى أرسطو أن الغاية هي سعادة النفس العاقلة، وهذه بدوره تعني عنده حياة عقلية نشطة، تزينها الفضيلة، ويمارسها المرء بلا انقطاع، وهكذا فإن الفضيلة تبعا لنظرية أرسطو هي وسيلة لغاية، أما هذه الغاية فإنها بالطبع لا تتحقق نفس المقدار لكل شخص غير أنها مع ذلك هي أسمى هدف يمكن أن يبلغه الإنسان، فحياة التأمل النظري هي الأفضل تماما، كما كانت عند سقراط"[3].

---

[1] وولتر تسيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 259.

[2] برانتد راسل، حكمة الغرب، عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي، مرجع سابق، ص 140.

[3] برانتد راسل، حكمة الغرب، عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي، مرجع سابق، ص 140.

إلا أن أرسطو وبرغم حديثه عن النفس وطبيعة الفرد، قد اعتبر أن دراسة النفس البشرية جزء لا يتجزأ من الطبيعة المادية، لأن هناك علاقة دائمة بين الإنسان والطبيعة، لأن النفس على وجه العموم مبدأ الكائن الحي[1].

وبذلك فقد اعتقد أرسطو أن الطبيعة البشرية قائمة على اللامساواة بين البشر في الطبيعة لأن هذا التمايز هو ما تمليه عليهم طبيعتهم الفطرية، ولذلك فالطبيعة لم تخلق الناس سواسية، فبعضها خلق للإمرة، الآخر للطاعة، فالطبيعة إنما أرادت من الكائن الموصوف بالعقل أن يكون هو السيد، في حين أن الأشخاص الآخرين الذين لا يحكمون عقولهم تقتضي طبيعتهم أن يكونوا مسخرين للأسياد.

فالفروق الموجودة بين الناس إنما تعود لطبيعتهم الفطرية التي خلقوا عليها بوصفهم ليسوا سواسية في الطبيعة[2].

[1] أرسطو طاليس، كتاب النفس، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة جورج شحاتة قنواتي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط2، 2015، ص 31.

[2] فاروق عبد المعطي، أرسطو، أستاذ فلاسفة اليونان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 141.

المبحث الثاني: مفهوم الطبيعة الإنسانية في العصور الوسطى

1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفلسفة المسيحية:

ارتبطت العصور الوسطى سيطرة الكنيسة حيث أضحى الفرد خاضعا لها ولأواصرها المطلقة خاصة فيما تعلق بالجانب الديني فتوسع مجال الفلسفة من حيث كانت تهتم بدراسة الوجود إلى فكر أعظم من ذلك، واشتغلت الفلسفة المسيحية بطبيعة البشر وبإرادته الحرة العاقلة بالإضافة إلى بروز جدلية إشكالية التوفيق بين الإيمان والعقل.

ومع الفلسفة المسيحية أصبح الاشتغال أكثر بقضايا الله والعالم والإنسان بالإضافة إلى اهتمامهم بالعقل ودوره في الوصول إلى مراتي الإيمان، "أما الدين المسيحي فقد نفخ في التربية روحا جديدة، ووجه المجتمع توجيها جديدا كان من نتائجه أن وجهت العناية إلى السلوك أكثر من العقل وحل الترويض الأخلاقي محل الفلسفة الأخلاقية وأصبحت التربية نمطا حياتيا قاسيا غايته التحضير لحياة أخرى، وكان هذا الانضباط الأخلاقي يرى وجوب كبت كل ما ينشأ عن الرغبات الطبيعية، كما يرى أن كل ما علاقة له بهذا العالم شر، وأن كل ما يمت إلى الجمال والذوق بصلة جريمة"[1].

"وقد قيل في العصر الوسيط بالإجمال إنه كان عصر جهل وظلام لا خير فيه، بل ويجب تخطيه بأسرع ما يستطاع للوصول إلى عصر النهضة الحديثة، عصر النور، وقيل في الفلسفة المدرسية أنها كانت تعلم وتدون بلاتينية سقيمة، وتعالج مسائل الدين، وتخضع في ذلك إلى النقل دون العقل، أي سلطة آباء الكنيسة"[2].

ومن بين أهم أعلام الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط نجد القديس أوغسطين.

[1] محمد زيعور، عالم التربية، ماهية وتطلعات، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 17.

[2] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2012، ص 14.

1.1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر القديس أوغسطين (430 – 354) م AUGUSTIN

لقد كان اهتمام أوغسطين بالطبيعة البشرية واضحا خاصة فيما تعلق بمسألتي الخير والشر، "واهتم أوغسطين بمسألة الشر وقتا طويلا قبل اعتناقه للمسيحية، وما كان إيمانه بالمانوية إلا لكونها تفسر الشر تفسيرا مقبولا بقولها بوجود مبدأين أصليين: مبدأ النور، ومبدأ الظلمة، ومبدأ الخير ومبدأ الشر، وإن للموجودات ثلاثة كمالات: التناسب، الصورة، النظام وبحسب نصيبها من هذه الكمالات سواء كانت جسمانية أو روحانية تكون مرتبتها في الخير"[1].

وبعد اعتناقه للمسيحية كان عليه أن يجد تفسيرا آخر لوجود الشر في الإنسان وفي العالم، إن الله خير وهو لا يتغير، وبالتالي لا يفعل الشر، وأما المخلوقات فهي وإن كانت مخلوقات الله، فإنها ليست من جوهر الله، لقد أبدعها الله من العدم، ولهذا فإن من المخلوقات نوعا من النقص الأصيل، وهذا النقص يولد الحاجة، والحاجة تدعو إلى التغير"[2].

ولذا يؤكد أوغسطين أن لدى الله إرادة وقدرة أرفع من إرادة الإنسان، وأن الطبيعة البشرية وسلوكات الفرد يجب أن تصدر عن عقل وحكمة لأن في ذلك طمأنينة للقلب وصفاء للنفس، وعندما تعرف النفس ذاتها أيقنت سلوكاتها، وانقادت في ذلك نحو الخير "والشر نوعان، خلقي وطبيعي، وفي الحالين لا ينسب إلى الله، لكن الله يسمع به ثم يستخرج منه الخير مادام الشر عدما، فليس البحث عن علته بحثا عن مصدر وجود بل عن مبدأ أنقص، وليس مبدأ النقص إلا في المخلوق، فالشر الخلقي أو الخطيئة سواء في استعمال الحرية بنبذ الخير الدائم، والإقبال على خير زائل، فهو عدم النظام في الإرادة"[3].

---

[1] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، من أ إلى س، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1، 1984، ص 251.

[2] نفسه ، ص 251.

[3] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص 45.

ويرى أوغسطين أن الله كامل لا يصدر منه شر، وكذلك طبيعة البشر خيرة إلا أن الفساد والشر الموجود في هذا العالم هو من أوجد الشر.

"أما الشر الأخلاقي فأمره أصعب، أنه يرجع إلى حرية الإرادة الإنسانية، فالإنسان حر في اتخاذ الطريق الذي يريده، أما الخير وأما الشر، ويبقى السؤال لماذا شاء الله أن يعطينا حرية الإرادة إذا نظر إليها في ذاتها أمر حسن، أما سوء استعمال هذه الحرية هو الذي يحيلها إلى الشر، والطبيعة الإنسانية كانت قبل خطيئة آدم خيّرة لكنه نتج عن ذلك أمران: الشهوة والجهل، وبهذا تحولت طبيعته، وكان الله قد خلقها في الأصل خيرة"[1].

ومنه يؤكد القديس أوغسطين أن طبيعة الإنسان كانت خيرة قبل وقوعها في الخطيئة الأصلية، حيث أن هناك إرادة إلاهية ورعاية غير إرادة الإنسان هي من توجه أفعال الفرد من شريرة إلى خيرة، وهاته الإرادة هي من يدركها الإنسان وجوده وكيفية إدراك السلوكات الخيرة، والمعارف، والحقائق الثابتة، ومن خلالها أيضا تميل إلى الخير المطلق، وهي مستقلة عن العقل، وهو ما قصد به أوغسطين بالنور الداخلي أو بالإشراق الذي يقذف في قلب مؤمن. فالعقل والإيمان في الفلسفة المسيحية بصفة عامة، وعند القديس أغوسطين بصفة خاصة يوصلان إلى الحقيقة، ويسعيان بدفع النفس نحو بلوغها الكمال.

"فالعقل عند أوغسطين لا يستقل بذاته في إدراك الحقيقة المطلقة، بل لا يدله في ذلك من سلطة أخرى هي في الغالب سلطة الكتاب المقدس، وهي مشكلة أقرب ما تكون إلى مصادر المعرفة منها إلى مناهج المعرفة، فلكي يكون برهان العقل يقينيا، لا بدا له من الاعتماد على السلطة التي تمحور كل شك، ولذلك يلجأ أوغسطين إلى سلطة الكتاب المقدس في الحقائق الفلسفية، فقدره العقلة بدون السلطة أقل على الإدراك، والسلطة هي الكفيلة في بعض الأحيان بإقناع الجميع، وسلطة الكتاب المقدس تعني الإيمان به،

[1] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 252.

فالإيمان ضروري للتعقل، كما أن التعقل ضروري للإيمان... ومن هنا يضع أوغسطين منهجه في عبارة مشهورة له: إعقل كي تؤمن، وآمن كي تعقل"[1].

ويقر أوغسطين بأن كون الله ثابت وكامل، فإن إرادته واحدة ومطلقة، وتتصف بالخيرية، لذلك فإن كل ما يصدر عنها فهو خير، أما عن طبيعة الشر الموجود في هذا العالم فيتمكن رده إلى الإرادة الإنسانية، وهذا هو القانون الأخلاقي عند أوغسطين، فبالرغم من الشر الصادر عن الإنسان إلا أن الله يرد هذه الطبيعة إلى الخير، ومن ثم التأكيد على خيرية الطبيعة البشرية، أما الشر فهو صادر عن إرادة إنسانية تتميز بالنقص والخطأ "وهذا هو الفضل أو اللطف الإلاهي الذي طالما أوغسطين ومن شايعه من بعد حتى اليوم، وخاصية هذا اللطف الأساسية شرط ضروري لنجاته، ولا يناله الإنسان لمجرد أعماله، وإلا لما كان فضلا ولطفا إلاهيا، بل جزاء وفاقا، لهذا يؤكد أوغسطين أن اللطف الإلاهي هبة إلاهية مجانية، إنه يسبق الأعمال والجزاء عنها، ولهذا فهو ثمرة اصطفاء إلاهي، لا ثمرة أعمال إنسانية"[2].

"فالخطأ لا يرجع إلى النور الداخلي الذي لا يخطئ، بل يرجع إلى الإرادة الحرة خيرة كانت أم شريرة، النور لا يخطئ في الإضاءة بل العين هي التي تخطئ في الإبصار، والنظرية الإشراقية ليست طريقا للمعرفة فحسب، بل هي أيضا وسيلة للحصول على السعادة"[3].

فعندما يخالف الإنسان الإرادة الإلاهية يصدر الشر عن الفرد، وأن الخطيئة البشرية الأولى لآدم إنما كانت إرادة حرة اختيارية، وسرعان ما تحولت إلى خيرة من خلال الندم والرجوع عن الفعل الخطأ، وهنا ربط أوغسطين فكرة النفس بالإرادة الإنسانية الحرة، كما

[1] حسن حنفي حسين، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، أوغسطين، أنسلم توما الإكويني، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1978، ص 14.

[2] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص 252.

[3] حسن حنفي حسين، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص 27.

رأى أوغسطين أن للعقل مهمة ثنائية، وعلاقة مع الإيمان، فهنالك حقائق تمكن للعقل أن يدركها، ويخوض فيها، إلا أنه وفي المقابل هناك حقائق نؤمن ونسلم بها دون أن نتعقلها.

"ويستمر أوغسطين في تحليل الظواهر الأخرى للنفس، وخصوصا الإرادة فأدخل الإرادة أو العشق وجدانات ثلاثة، الشهوة والغبطة والخوف، أما الإرادة فيقول عنها أنها حرة، ويحاول أن يوفق بين حرية الإرادة، وبين الفعل الواحد لله، فيقول: أنها كانت في علم الله، الأعمال الحرة للإنسان فهي باعتبارها تصدر عن الإنسان باختياره، تعتبر اختيارا من جانب الإنسان"[1].

وهكذا وجب على النفس أن تسيطر على كل غرائزها، ورغباتها، باجتناب كل ما هو شر، والتمسك والدعوة إلى كل ما هو خير لتحقيق السعادة، وكس حب الله، وبالنسبة للطبيعة البشرية وكونها تتصف بالخيرية، فإن الفرد وحده هو يقر بفعل الخير وذلك من خلال إرادته الحرة العاقلة، لأنها وحده من تأمره بأن يتجنب فعل الشر، فوجل على الفرد دائما أن يسعى نحو تحقيق الخير المطلق والتمسك بالأوامر الإلاهية التي تصدر عنها، سلوكات أخلاقية لتحقيق السعادة، وهو ما أكده أوغسطين خاصة في العلاقة بين العقل والإيمان، فإرادة الإنسان مرتبطة بحرية الاختيار في مسألة الخير والشر، كون الإنسان وحده من يختار فعل الخير، ويتجنب فعل الشر عن طريق الاحتكام لسلطة العقل.

"الأفعال أفعال الإنسان، ولكنها أيضا أفعال الله بحيث يكون لها علتان، إحداهما خاضعة للأخرى، فاعلة بتوجيهها وقدرتها، فليست النعمة ملاشية للحرية، وإنما هي معونة لفعل الخير، وليس سبق علم الله بالأفعال حجة ضد الحرية، فإن توقع الفعل الحر ولو كان توقعا محققا لا يرفع عنه صفة الحرية، إن الله يتوقع الفعل، وإذن سيكون الفعل حرا صادرا عن ميل الإرادة واختيارها، وإذن سيكون الفعل حرا مختارا"[2].

---

[1] عبد الرحمان بدوي، فلسفة العصور الوسطى، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص 34.

[2] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص 140.

فعلى الفرد أن يختار سلوكات قويمة، وأن يحتكم إلى عقله ويختار كل خير يصل إلى هدفه الأعلى وهو السعادة بالله.

"إن الله هو الخير بالذات، ولا يوجه المخلوق إلا للخير، والخير هو المطلوب ولأجل هذا أعطانا الله العقل نعلم به الخير، وأعطانا المحبة نميل بها إلى الخير المعلوم، والعقل والمحبة مبدأ الحرية، وكلما طاوعنا هدى العقل، وتحررنا من الشر ازدادت الإرادة حرية"[1].

ويرى أوغسطين أن السعادة الأبدية إنما تتحقق بفعل الإنسان للخير، واختياره لكل ما تكون نتائجه قويمة، فالإنسان وحده المسؤول عن أفعاله، أما الله فلا يصدر منه إلا الخير، وهو ما أقر به أوغسطين في قوله: "يا لها من سعادة تتحقق عندما يبطل كل شر، ويخرج كل خير إلى النور، ولن يستسلم الإنسان إلا إلى مديح الله الذي يكون كلا في الكل"[2].

وتأكيدا لقول أوغسطين أن السعادة تتحقق بالخير، يتساءل: "إذا ما هو الشر؟ يقول أوغسطين أن الشر يجب أن نعرفه تعريفا سلبيا لا إيجابيا، فهو عبارة عن نقص في الخير، وعندما ينظر الإنسان إلى هذا النقص فإنه يقول عنه إنه الشر، فالشر هو حرمان الطبيعة من الخير، فإذا نظرنا مثلا إلى الطبيعة الإنسانية فإننا نجدها طبيعة خيرة وطيبة، أما الخطيئة فهي عبارة عن نقص في هذه الطبيعة، كذلك فإنه بالنسبة للإنسان يكون الشر الأخلاقي نتيجة للإرادة الحرة، واختياره الحر لأفعاله، فالإنسان هو المسؤول عن الشر الموجود في العالم، والله غير مسؤول عنه"[3].

---

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق ص 141.

[2] أوغسطين، مدينة الله، ترجمة الخور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2008، المجلد الثالث، ص 409.

[3] كامل محمد محمد عويضة، أوغسطين، فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 40.

واعتقد أوغسطين بخيرية أن يكون الإنسان ذا إرادة حرة، وهو ما سمح للأفراد التصرف بطريقة أخلاقية وسليمة، وبما أن الإنسان خلق وهو مزود بملكة العقل، وهو المسؤول الوحيد عن أفعاله، ومادام الله قد أنعم عليه بالإرادة الحرة وزرع في نفسه الخير، فإنه من الضروري فعل ما هو خير، وتجنب ما هو شر، ويؤكد أوغسطين أن كل شيء خير كونه صادر من خالق الخير، وأن تحقيق السعادة الشخصية المطلقة للإنسان هي الاتجاه نحو الله، كونه يعتبر مصدرا للسعادة والكمال.

"ولقد اعترض البعض على ذلك فقالوا: لماذا لم يعط الله للإنسان إرادة حرة لا تخضع ولا تميل للشر، والجواب على ذلك أن مثل هذه الإرادة هي خير بالنسبة للإنسان، وهي الأصل في سعادته الروحية، ومن أجل تحقيق هذه السعادة فإن الإنسان يجب أن يتجه بإرادته الحرة نحو الخير المطلق، وأن يسعى إلى تحقيق الخير في حياته وفي العالم"[1].

2.1.مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر القديس توما الإكويني (1274 – 1225) م TOMMASO AQUINO

"يعتبر القديس توما الإكويني من بين العباقرة الفلسفيين في الأزمنة القديمة والحديثة، فهو سليل أفلاطون ومالبرانش من حيث الروحية، وسليل أرسطو وديكارت من حيث الوضوح والمنطق، وكانت قداسة القديس توما هي قداسة العقل"[2].

فالقديس توما من بين الفلاسفة المسيحيين، حيث أسر توما فلسفته بناء على تأثيره للأرسطية، كما تميزت فلسفته بأنها فلسفة تقدس العقل والواقع خاصة فيما تعلق بجانب التأمل العقلي للنفس الإنسانية في مسألتي الخير والشر.

[1] كامل محمد محمد عويضة، أوغسطين، فيلسوف العصور الوسطى مرجع سابق، ص،40.

[2] جورج طرابشي، معجم الفلاسفة (الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهتيون، المتصوفون) دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3، 2006، ص 244.

"فالنفس عند القديس توما المقتفي أثر أرسطو هي صورة الجسم المتعصي، وما النفس والجسم بجوهرين مستقلين، ولكن من اتحاد الاثنين يتكون الانسان، وهو موجود فريد اتحاد طبيعي لا يمكن بدونه للنفس أن تدرك ذاتها، وبالفعل لا تستطيع النفس أن تعرف نفسها بنفسها"[1].

كما تأثر توما بأرسطو خاصة في مسألة النفس، واعتبر أن النفس هي شكل الإنسان والجسد هو مادته، فاعتبرهما شيئا واحدا، فيقول توما: "إن النفس البشرية صورة غير مرتهنة طبقا لوجودها بالهيولى، وهذا ما يلزم عنه أن النفوس كثيرة كثرة الأجسام، ولكن بدون أن يكون تعدد الأجسام، مع ذلك هو علة تعدد النفوس، ولهذا ليس من الضروري إذا ما فنيت الأجسام أن ينتهي تعدد النفوس"[2].

ويؤكد توما أن قانون الأفعال البشرية ومعياراها هو إرادة البشر، أي صادر عن إرادة واعية ومن العقل، فوحده هذا الأخير هو من يقرر فعل الخير وترك الشر، كون طبيعة الإنسان تنقاد نحو ملكة العقل ومن خلاله، نتيجة الإنسان إلى الأخلاق التي تؤدي في النهاية إلى بلوغ السعادة، وأن كل ما هو شر صادر عن إرادة البشر الناقصة كون الله كامل، والكامل لا يصدر منه إلا الخير.

"وفيما يقول توما: إن الله لا يمكن أن يفعل الشر ذلك لأن الشر شيء سلبي محض، وهو بالأحرى عدم وجود أولى من أن يكون وجودا، فإذا أضفناه إلى الله فقد أضفنا إلى الله أنه يخلق العدم، وهذا لا معنى له، وإنما الشر يجب أن يفسر على أنه هذا الشيء الضروري الذي يفترق به المخلوق عن الخالق، فثمة فارق في مرتبة الوجود بين الخالق والمخلوق، وإلا لكان الخالق والمخلوق شيئا واحدا، وهذا الشيء في مرتبة الوجود

[1] اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، العصر الوسيط والنهضة، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، الجزء الثالث، ص 189.
[2] نفسه ص 190.

هو الشر، والموجودات تترتب في الواقع ترتيبا تنازليا بحسب درجة الشر، أعني بحسب النقص في المخلوق بالنسبة إلى الخالق"[1].

"فالعقل هو الذي يوجه نشاط الإنسان نحو غايته، ومن ثم فالعقل هو الذي يصدر الأوامر، وهو الذي يفرض الالتزام، لكن ذلك لا يعني أن العقل هو المصدر التعسفي للالتزام، أو أنه ممكن أن يفرض أي التزامات كما يشاء، فالموضوع الأول للعقل العلمي هو الخير الذي له طبيعة الغاية، والعقل العلمي يعرف أن الخير هو غاية السلوك البشري، ويعلن عن مبادئه الأولى، فلا بد من عمل الخير ومتابعته، وكذلك تجنب الشر، لكن الخير بالنسبة للإنسان هو الخير الذي يناسب طبيعته، وهو ذلك الذي لديه بداخله ميل طبيعي بوصفه موجودا عاقلا"[2].

فالنفس الإنسانية خُلقت محبة للخير بطبيعتها، ومنحت مع العقل حرية الإرادة، ولكنها تريد بحريتها خلاف ما يقضي به العقل فتخطئ وترتكب الشرور، ويرجع ذلك الخطأ إلى أن الإنسان ناقص لأنه مخلوق، والكامل هو وحده الذي لا يخطئ، ولا كامل إلا الخالق، فحرية الإنسان إنما مقيدة بحرية الله، إلا أن طبيعة هذا المخلوق خيرة كونها تميل دائما إلى الخير وتبتعد عن الشر، والإنسان مسؤول عن أفعاله لأنه حر الإرادة، ولكن لا يترتب عن هذه الحرية أنه يريد ويفعل من دون الله، فالله هو العلة الأولى لكل شيء، وما الإنسان إلا علة ثانوية لإرادته وأفعاله[3].

---

[1] عبد الرحمان بدوي، فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 159.

[2] حامد عبد الحمزة محمد، النظرية الأخلاقية في فلسفة القديس توما الاكويني، العدد الثالث، كلية العلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة بابل، العراق، 2016، ص 23.

[3] اتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق إمام عبد الفتاح إمام، مدبولي للنشر، الكويت، ط3، 1996، ص 380.

ويقول توما: "إن ما يجعل الإنسان خيرا، وما يجعل سلوكه وما يصنعه خيرا هو أن يعمل وفقا لطبيعته، أعني وفقا للعقل" [1].

"وما دامت الإرادة تابعة للعقل تميل إلى الخير الذي يعرضه عليها، فإن العقل قاعدتها التي يتقدر بها صلاحها، فإذا كان الفعل مواقفا لحكم العقل كان خيرا، وإذا كان منافسا لحكم العقل كان شريرا"[2].

كما أكد الإكويني على طبيعة النفس العاقلة وخيريتها، وعلى الإنسان أن يسعى دائما وأبدا إلى الخير والفضيلة بهدف بلوغ غايته، وهي الوصول إلى السعادة والاتحاد مع الله وذلك عن طريق ضبط أفعاله وتصرفاته، والتحلي بالخير والفضيلة، وتجنب أفعال الشر والرذيلة، لأن الحياة الأخلاقية حسبه تكمن في القيام بالأفعال التي تقرب الإنسان في غايته الأساسية، ويدرك الإنسان هذه الغاية بواسطة عقله والذي تطيعه الخدمة والإرادة الإلاهية.

2. مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفلسفة الإسلامية:

2-1- مفهوم الطبيعة البشرية في القرآن الكريم

يقول تعالى: {ولقد كرمنا بني ءادم وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا[3]}

ومن خلال قوله تعالى هذا يتبن لنا المكانة التي يحتلها الإنسان في الإسلام من خلال تميزه بملكة العقل على سائر المخلوقات حيث فضل الله سبحانه وتعالى الإنسان بالعقل، كون العقل هو الملكة التي يستطيع بها الفرد بين ما هو صواب، وما هو خطأ، وتعتبر الفلسفة الإسلامية من بين الفلسفات التي اهتمت بمركزية الإنسان وحجته، حيث

[1] اتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق إمام عبد الفتاح إمام، مدبولي للنشر، ص380

[2] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص 161.

[3] الإسراء – 70.

دعا الإسلام إلى تمجيد الإنسان وجعل منه أسمى المخلوقات وأرفعها، ومن خلال عقله ينتهي الإنسان عن فعل المنكرات وتجنبها، والسعي على المعروف والأمر به، كما اهتم الإسلام بطبيعة الفرد البشرية خاصة فيما تعلق بكون طبيعتها هل هي خيرة أم شريرة، وهو ما تناوله فلاسفة إسلاميين، وبعض الفرق الكلامية، ومن بين هاته الفرق نجد المعتزلة والتي اعتبرت من أولى الفرق الكلامية التي اهتمت بقدرة العقل، هي جانب الطبيعة البشرية باعتباره الملكة التي يؤسس عليها كل فعل أخلاقي، فالإسلام إنما حث على كل ما هو مصلح لشخصية الإنسان حيث كان دائم الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ما يبرر طبيعة الإنسان الخيرة.

2-2- مفهوم الطبيعة الإنسانية عند المعتزلة

"وفي رأي المعتزلة على أن الله إذا كان قد أكمل الإنسان بالعقل، وإذا كان قد كلف الإنسان العقليات والشرعيات معا، فقد وجب على الإنسان النظر المؤدي إلى المعرفة، ولا يطلب النظر لذاته، وإنما يلزم ليوصل به إلى الكشف المؤدي إلى صلاح الإنسان وخيره، فإنه إذا تدبر وعرف فإن ذلك يدعوه إلى الفعل في الحال، والواقع أن اهتمامهم بالعقل واعتباره الطريق الوحيد الموصل إلى العلم ليس موجها إلى قيمة العقل النظري في تحصيل العلوم والمعارف بقدر ما هو إلى قيمته في هداية الإنسان في حياته الخلقية"[1].

وتبنى المعتزلة النزعة العقلية خاصة فيما تعلق بمسألتي الخير والشر للأفعال وعلاقتهما بالأخلاق، حيث تقر المعتزلة برد القوانين والأحكام الخلقية إلى أسس عقلية فقد آمنوا بسلطان العقل وجعلوا منه مصدر لمعرفة الخير والشر، والتمييز بين الحسن والقبح فالعقل إنما هو المصدر الوحيد والمسؤول عن أفعال الإنسان سواء كانت حسنة أم قبيحة، ومن خلال الانقياد لأوامر العقل هو ما جعل طبيعة البشر تكون خيرة.

[1] أحمد محمود صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، العقليون والذوقيون أو النظر والعمل، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، دس، ص 68.

"ويذهب المعتزلة* إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم، وأن هذا الأمر وهذا النهي يكونان بالمجاهدة وأنه يصح أن يكونا بالقلب، فإذا لم يكن بالقلب فبالسان، وإذا لم يكف اللسان فباليد، وإلا بالسيف"[1].

كما أقرت المعتزلة أن الإنسان، أن الفرد هو الوحيد المسؤول عن أفعاله الشريرة، باعتبار أن الله عادل منزه لا يصدر عنه شر، فطبيعة النفس مردها العقل والخير، وما عدا ذلك من أفعالنا فمرده إلى نقص الإنسان، وأكدت المعتزلة على أن الإنسان له حرية الاختيار في أفعاله، وبما أن النفس البشرية باعتبارها متلازمة مع العقل، فإنها تتولد عنها استعدادات خيرة، وهنا يكون الخير، وهذا الأفعال إنما تكون بعلم الله، فالله وحده العالم على أن يفعل الفرد هذا العمل أو يترك ذاك، ودليل ذلك في الإسلام وجود الجنة والنار.

"وفي فلسفة تؤمن بالعدالة الإلاهية، وبحرية إرادة الإنسان لا بد من نظرية تجعل الله مريدا هداية الإنسان بعد أن خلقه، كائنا مسؤولا مكلفا، وبعد أن ركب فيه نزعات الشهوة للقبيح فضلا عن غواية الشيطان له؟، يقول أبو علي الجبائي: الله عادل في

---

[1] *جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، 2004، ص 432.*>

*المعتزلة: فرقة كلامية إسلامية ظهرت في أخريات القرن الأول الهجري، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، لقول واصل إن مرتكب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا بل هو في منزلة بين المنزلتين، وامتازت هذه الفرقة بحرية الفكر، والاعتداد بالعقل، وقوة الحجة، ولهذه الفرقة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم، وأهمها العدل والتوحيد، ولهم أصول ثلاثة أخرى المنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حاربوا مذهب المشبهة الذين يأخذون بعض آيات القرآن على ظاهرها، فيشبهون الله بالإنسان أو الجسمانيات، ولقد ذهبوا في العدل إلى أن الله عادل، وأنه إنما يقصد بأعماله إلى خير العباد وصلاحهم، لأن الله لا يصدر عنه الشر، وأنه يثيب الإنسان ويعاقبه بحسب عمله الذي يخلقه الإنسان بقدرته وإرادته، وهم بهذا الأصل ينقضون مذهب الجبرية، وخاصة مذهب الجهمية الذين يسلبون الإنسان قدرته على خلف أفعاله، وينظرون إليه على أنه مجبر تجري الأفعال عليه، ولا تصدر عنه. (1)

(1) جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، مرجع سابق، ص 433.

قضائه، رؤوف بخلقه ناظر لعباده، لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يريد ظلما للعالمين، وهو لم يدخر عن عباده شيئا مما يعلم أنه إذا فعله بهم أتوا الطاعة والصلاح"[1].

"وعلى هذا مضى المعتزلة يفندون حجج الجبرية بأدلة فلسفية أشهرها دليلهم السيكولوجي القائم على شعور الإنسان بالحرية، والقدرة على الاختيار فيقولون أننا نشعر بالفارق بين حركاتنا الاختيارية، وحركاتنا الاضطرارية، كما يظهر بوضوح من كوننا لا نخلط بين حركاتنا حين نريد أن نحرك أيدينا، وحركتنا حين نرتعش، فالحركة الاختيارية مرادة من الإنسان، مقدورة له"[2].

ولقد كان الجانب السيكولوجي والعامل الوراثي للطبيعة البشرية عند المسلمين على العموم عاملا أساسيا باعتبار أن البشر بالرغم من أن أصلهم واحد، وخلقتهم واحدة، وينحدرون من سلالة آدم عليه السلام إلا أن العامل البيئي والنفسي يعتبر عامل مهم في طبائع الناس المختلفة، وهو ما يؤكد حرية الاختيار والإرادة لأفعال البشر.

"وليس معنى ذلك أن الطبيعة الإنسانية خاضعة في تشكيلها وتحديد معالمها للبيئة وحدها، وأن التربية وحدها هي التي تجعل الإنسان ما يجب أن يكون عليه، إنما معناه أن الإنسان نتاج ميراثه الفطري البيولوجي متفاعلا مع البيئة بعناصرها المختلفة، فإذا كانت الوراثة تزود الفرد بالإمكانات ستتحول إلى قدرات فعلية أم لا، كما أنها هي التي تحدد مدى استغلال هذه الإمكانات والاستعدادات"[3].

هذا ويؤكد الإسلام أيضا على عامل البيئة أو الوراثة، فطبيعة البشر إنما تصدر عنها سلوكات تساهم فيها عوامل عدة، ومن هنا اهتم الإسلام بعامل الوراثة في طبيعة

---

[1] أحمد محمود صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص 62.

[2] زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، ط3، 1957، ص 143.

[3] حسن إبراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، التربية والطبيعة الإنسانية، دار عالم الكتب، الرياض، 1986م، ص 276.

النفس البشرية، وهذه السلوكات قد تكون خير أم شر، إلا أن الإسلام دائما ما يحث على اتباع الخير، وتجنب الشر، وهو ما ينجم عنه فضائل أخلاقية تظهر في شخصية الفرد من جهة، وتنعكس على المجتمع من جهة أخرى. "ولكن هذه الأخلاق في الحقيقة هي أكثر المواد جميعا إنسانية، وهي أقربها إلى الطبيعة البشرية، وهي ليست لا هويتية، ولا ميتافيزيقية، ولا رياضية، وحيث إنها تتعلق مباشرة بالطبيعة الإنسانية، فكل ما تمكن معرفته عن العقل الإنساني، والجسم الإنساني في علم وظائف الأعضاء، وعلم الطب، والأنثروبولوجيا وعلم النفس يكون مما يناسب البحث الأخلاقي، فالطبيعة الإنسانية تعيش وتعمل في بيئة، وهي لا تكون في هذه البيئة كما تكون النقود في صندوق، ولكن كما يكون النبات في التربة، وضوء الشمس، فالعلم الأخلاقي ليس شيئا له ميدان منفصل، ولكن معرفة مادية بيولوجية تاريخية وضعت في محتوى إنساني حيث تضيء مناشط الإنسان وترشدها"[1].

فالطبيعة البشرية من المنظور الإنساني ليست بوصفها مقابلا للطبيعة المادية، وإنما كونها القدرة على تأمل النفس والتفكير، وهي تشمل السلوكات الفطرية أيضا، وهو ما يميز البشر عن الكائنات المادية، ولهذا كان من الضروري انفصال الطبيعة البشرية عن الطبيعة الخارجية، بغرض فهم طبيعة سلوكات وأفعال الإنسان.

"وفي قصة الخلق، خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء كلها، وقد جئنا كلنا من صلب آدم، فثمة مساواة مبدئية بين البشر في الأساسيات الإنسانية، أي فيما يميزهم بشرا في جوهرهم الإنساني الذي يفصلهم عن عالم الطبيعة/ المادة، وتتحقق إنسانية الإنسان بمقدار اقترابه من الحالة الإنسانية المثالية أو الجوهرية هذه، وبمقدار تجاوزه لكثير من دوافعه الطبيعية والمادية، وبمقدار إعلائه لهذه الدوافع وتعبيره عنها من

[1] جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة وتقديم محمد لبيب النجيحي، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1936، ص 309، 310.

خلال أشكال إنسانية متميزة عن الأشكال الطبيعية المتاحة للحيوانات، إذ ثمة اختلاف بينه وبين الطبيعة/ المادة بسبب الثغرة أو المسافة التي تفصل بينهما"[1].

ولقد اهتم الإنسان بطبيعة النفس البشرية، وأكد على الالتزام بأبرز معاني التربية التي نادى بها، وهذا بغية التعرف على القوة الباطنية للذات الإنسانية، والتي تدفعه إلى فعل الخير، وتجنب فعل الشر خاصة فيما تعلق بغرس السلوك الأخلاقي القويم الذي يساهم في صلاح النفس واعتدالها مما في ذلك غذاء لقلب الإنسان وعقله وروحه.

بالإضافة إلى أن الطبيعة البشرية اهتمت بجوانب الإنسان الفردية والاجتماعية وتؤمن إيمانا كاملا باستقلال الفرد وحريته، كما تؤكد على التفاعل مع المجتمع كون الفرد فاعل وسط الجماعة، ومن خلال العيش وسط جماعة تتحقق أهدافه العملية، ولما كان الإنسان يعيش ضمن إطار الجماعة تتقيد إرادته وحريته العاقلة خاصة في التصرفات الغير لائقة، والتي قد تنجم عن هاته الطبيعة بحيث تقود هاته التصرفات وتفتح الباب أمام طبائع شريرة.

"ففي أيامنا هذه يؤمن البعض بأن الإرادة ليست حرة، وصحيح أن الإنسان يصبح مرتبطا برباط لا ينفصم. بمجرد أن يهب نفسه ويتفرغ لتحقيق هدف معين، وحيث إن الظروف المحيطة مثل العلاقات الاجتماعية، وقدرات الفرد الجسدية تحدد نوعية هذا الهدف، فإن الحياة النفسية تبدو وكأنها محكومة بقوانين طبيعية ثابتة، ومن ناحية أخرى فإنه من الممكن اكتشاف هدف الفرد من خلال مراقبة نشاطاته الحالية، وأهمية هذا ترجع إلى أن القليل من الناس يعرفون هدفهم على وجه التحديد"[2].

---

[1] عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص59.

[2] آدلر ألفريد، الطبيعة البشرية، ترجمة عادل نجيب بشرى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص 33.

واستمر البحث في مبحث النفس الإنسانية وطبيعتها من الطرف العديد من فلاسفة الإسلام والفرق الإسلامية بغرض فهم الجانب النفسي والروحي والعقلي للفرد خاصة فيما تعلق بالسلوكات الصادرة عن الذات الإنسانية كون الإسلام هو المشرع الأول لإصدار الأوامر المرتبطة بالطبيعة البشرية وعن خيريتها من شريتها، هذا وإن الإسلام قد حث على التربية الإسلامية وفق منهج إسلامي يقوم على عناصر بشرية سليمة وفعالة.

"فرغم حديث القرآن الكريم عن الجسم والعقل والقلب والروح والنفس، إلا أن نظرة القرآن الكريم ونظرة الإسلام ظلت متكاملة اتجاه الإنسان، فقد نظر إلى الذات الإنسانية على أنها جملة القوى من الجسم والعقل والقلب والروح والنفس، ولا يكفي لدراسة الطبيعة الإنسانية أن تتوقف عن دراسة مكونات الذات الإنسانية من جسم وعقل وقلب وروح ونفس، بل علينا أن نقف على أثر عاملي الوراثة والبيئة في الطبيعة الإنسانية، وموقف الإسلام من كل منهما، فقد ثبت أن الإنسان في جميع جوانب شخصيته ومظاهر نموه هو نتاج لعاملي الوراثة والبيئة"[1].

[1] حسن إبراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، التربية والطبيعة الإنسانية، مرجع سابق، ص 267.

المبحث الثالث: الطبيعة الإنسانية في عصر النهضة والعصور الحديثة

تعد نشأة عصر النهضة بمثابة بداية جديدة وتغيير جذري للوضع الاجتماعي العام في أوروبا، وذلك من خلال وضع قواعد وأسس للنهوض بالمجتمعات وتحريرها من التغييرات اللاهوتية والميتافيزيقية إلى التفسيرات العلمية، وذلك من خلال التركيز على مبدأ الذات الإنسانية باعتبارها فاعلة، والعمل على تطوير الأعمال الفلسفية والأدبية والموسيقية والعلمية، وتعد هاته المرحلة امتداد لمرحلة العصور الوسطى، ويجمع أغلب المؤرخين أن إرهاصاتها تعود إلى بداية القرن الرابع عشر، حتى نهاية القرن السابع عشر، حيث أصبح الاهتمام أكثر، والتركيز أعمق في أغوار وطبيعة ومعرفة الذات الإنسانية، ويعد هذا العصر بمثابة بوابة لدخول أوروبا نحو التطورات العلمية الحديثة، والتخلص نهائيا من سلطة الكنيسة المطلقة، هذا ويعد عصر النهضة بمثابة حركة فكرية ساهمت في التغيير الجذري لإحياء الذات الإنسانية، وأقرت بأن الإنسان سيد نفسه، حيث بدأت في مناطق إيطاليا لتشمل بعد ذلك جميع أنحاء أوروبا[1]، ومن هنا بدأ الاهتمام بطبيعة النفس وهو ما نجده ما ديكارت أب الفلسفة، والذي عرف بعقلانيته واصطدامه الحاد مع سلطة الكنيسة، وتركيزه على سلطة العقل:

وفي هذا يقول يوسف كرم: "وبينما الجامعات والمعاهد الدينية تستمر على مدرسة تراث العصر الوسيط تشتد من حولها الحركة العلمية والفكرية التي بدأت في عصر النهضة، فترى رجالا مستقلين يعملون على تنمية العلم الجديد الرياضي منه والطبيعي، فيؤلفون الجمعيات أو الأكاديميات، وينشؤون المجلات لإذاعة بحوثهم، ونرى رجالا آخرين يستحدثون مذاهب فلسفية كانت الأصول التي ينتج عليها الفكر الحديث، ففي انجلترا

[1] اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، العصر الوسيط والنهضة، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1988، ص 267.

يتوطد المذهب الحسي بفضل مرنيس بيكون، وتوما سروجون لوك، وفي فرنسا يبرز ديكارت بفلسفة عقلية روحية نستطيع أن ننعتها بالجديدة"[1].

1- مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر ديكارت (1596 - 1650) RÉNÉ DESCARTES

يعتبر الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت من أبرز الفلاسفة العقلانيين الذين أسسوا المنهج الحديث في الغرب وركزوا على الذات الفردية باعتبارها محور فاعل في جميع نواحي الحياة، كما اشتهر بالكوجيتو الديكارتي الذي حاول من خلاله إثبات نفسه عن طريق شكه المنهجي: "فأي شيء إذن يمكن أن يكون على صناعة من الشك هناك على الأقل شيء واحد هو أنه يشك لأنه لو شك أنه يشك فسيظل من الثابت على نحو يقيني أنه يشك، ويترتب على هذا أنه محال عليه أن يشك في أنه يفكر لأن الشك ليس إلا نوعا من التفكير، فهو إذا وجد قضية واحدة غير قابلة للشك وهي أن أفكر وهناك قضية أخرى تترتب عن هذه، وهي أنا موجود لأنه من البين بذاته أن شيئا لا يمكن أن يفكر دون أن يكون موجودا، وبذلك يستطيع ديكارت أن يكون على يقين من وجوده لأنه يفكر، وهو ما عبر عنه في صيغة المتكلم: أنا أفكر إذا أنا موجود"[2].

"ويتفق الجميع على أن الفلسفة الحديثة بدأت مع ديكارت، لماذا نقول حديثة؟ لأن ديكارت أصر على أن يفكر لنفسه أكثر من مجرد قبول ما تعلمه فحسب، وبهذه الطريقة اعتقد أن بإمكانه أن يؤسس القواعد والأسس الفلسفية والرياضية لجميع المعارف البشرية"[3].

---

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، دط، دس، ص 15.

[2] جونثان رى وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل، مراجعة وإشراف زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص 141.

[3] ديف روبنستون وجودي جروفر، أقدم لك ديكارت، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، مصر، دط، 2001، ص 7.

واعتبر ديكارت من بين الفلاسفة في العصر الحديث الذين اهتموا بجانب النفس الإنسانية، وانتقلت الميتافيزيقا عند ديكارت من دراسة الوجود إلى دراسة المعرفة من الأنطولوجيا إلى الاستيمولوجيا، من الموضوع إلى الذات، الميتافيزيقا الديكارتية تهتم بالذات التي تعرف وتقرر الوجود بأكثر من اهتمامها بالموضوع الذي يمكن أن يعرف أو يكون موجودا[1].

واهتم ديكارت بالطبيعة البشرية كونها تميز الكائنات البشرية بالعقل، وأكد على أن العقلة هو الملكة التي من خلالها يميز الإنسان بين الخطأ والصواب، فهو أعدل قسمة بين الناس، فطبيعة الإنسان بعنصريها الخير والشرير، إنما تنطوي تحت ملكة العقل باعتباره يميز بين الخطأ والصواب، فالإنسان دائما ما ينقاد دائما إلى عقله ووحده هذا الأخير من يميز الخير والشر، إلا أنه سعى في النهاية دائما إلى حب الخير وذلك لبلوغ السعادة وهو ما أكده ديكارت أثناء حديثه عن علم الأخلاق فيقول: "فعلى الإنسان أن يجتهد في مغالبة نفسه، ويحد رغباته وشهواته، لا في مغالبة الحظ أو مقاومة القدر، لأن أفكارنا ملك لنا نستطيع أن نتحكم فيها كما نشاء، وبهذا نستطيع إلا أن نأسف لحرماننا من الأشياء التي لا تقدر على نوالها، وعلى هذا النحو أن ننعم بالغنى والقوة والحرية وكل أنواع السعادة"[2].

"وميز ديكارت في الفكر بين أمرين التعقل أو التصور أو الفهم والإرادة... وإن الإرادة فعالة وفعلها الرئيسي هو الإيجاب، إن العقل يعاين الفكرة، لكن الإرادة هي التي

[1] يحيى هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر، القاهرة، مصر، دط، 1993، ص 51.
[2] رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة، محمود محمد الخضيري، مراجعة، محمد مصطفى حلمي، دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة، مصر، ط2، 1986، ص 101.

تقرر حقيقة هذا الفكرة والعلم إذن في جوهره إقرار الإرادة بالأفكار الضرورية والسرمدية التي جاءت إلى العقل من الله"[1].

ويركز ديكارت على جانب النفس* أكثر من الجسد، باعتبار أن النفس بإرادتها وأهوائها وغرائزها دائما ما تنقاد لأوامر عقلها باعتباره يبلغ أعلى مراتب الحكمة واليقين، فالفرد إنما يخطئ في بعض المسائل وتصدر عنه سلوكات خاطئة، إلا أن العقل وحده من يوجه ويرشد هاته النفس إلى الصواب "فديكارت لا يخطر بباله أن ينكر أن هذا الفكر لا يمكن أن يقوم مثلا على وجود الجسم أو على أي شيء مادي آخر، وهو لا يريد أن يتخطى فيما يؤكده مجال البداهة، وإنما الذي يريد أن يسجله هو أنه قد عثر على سند أول متين يستطيع أن يعتمد عليه في اطمئنان، ومن ثم يسائل الفيلسوف نفسه عن طبيعة الأشياء المادية فلم كان هذا؟ لأنه قد انساق في مجازفة غير مألوفة فهو مضطر إلى أن يثبت أن أول مرحلة من مراحل معرفتنا هي اكتشاف وجود أنفسنا أي ذواتنا، على حين أننا قد ألفنا منذ طفولتنا أن ندير أبصارنا صوب الأشياء في العالم الخارجي"[2].

---

[1] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، من أ إلى س، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1، 1984، ص 497.

***النفس**: هي مبدأ الحياة أو مبدأ الفكر، أو الاثنين معا، بوصفها واقعا متميزا عن خلال الجسم الذي تنشط من خلاله، وتسلك سلوكا معينا وقد يُنظر إلى النفس على أنها مادية (أبيقور) لا مادية (ديكارت). إن وصف النفس على حقيقتها من الصعوبة إذ نجد لها عند الفلاسفة تعريفات مختلفة مثل قول أفلاطون أن النفس ليست بجسم بل هي جوهر بسيط محرك لليدين، والنفس والروح للفظتان مترادفتان، إلا أن بعض الفلاسفة يفرقون بينهما باعتبار أن معنى النفس يتضمن معنى الجوهرية الفردية، وأن مفهومها أغنى من مفهوم الروح، ومجالها أوسع من مجال الشعور، ولا تعرف النفس البشرية الجسم البشري ذاته، ولا تدرك أنه موجود إلا عن طريق أفكار التأثيرات التي تطرأ عليه.

جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، مرجع سابق، ص 471، 473.

[2] ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة وتقديم وتعليق عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، دط، 2009، ص 17.

وبهذا فإن ديكارت لا يركز على ملكة العقل فحسب، بل أيضا ركز على طبيعة وإرادة البشر من خلال اعترافه بمبدأ الذات، وبالإنسان ككيان من جهة، وككائن بشري من جهة أخرى، لا كجسم طبيعي مادي، فالفرد دائما يعرف نفسه بأفكاره وعقله، ومن هنا فإن ديكارت يقر بثنائية الجسم والنفس واعتبرهما متمايزان منفصلان، وأكد على أن لكل منهما خصائصه المميزة فهو يقر ويؤكد بأولية معرفة النفس.

"ويؤكد ديكارت على حرية الإرادة ومعنى الحرية هو القدرة على فعل أمر أ وعدم فعله، إنها ملكة الاختيار وبالجملة نحن نشعر تجاه الأفكار التي يقدمها لنا العقل أنه لا يوجد قوة خارجية ترغمنا على فعلها، لكن ليس معنى هذا أن الإرادة هي الهوى المطلق، بل الإرادة تخضع لدواع وأسباب هي التي توجهها، ولهذا ينبغي الانتباه كي تكون أفعالنا الإرادية حسنة وسليمة"[1].

ومنه يؤكد ديكارت على طبيعة الإنسان الخيرة كونه يقر بأن ملكة العقل ترشدنا دوما إلى السلوكات الخيرة والسليمة، فالنفس البشرية برغم نقصها في إصدار أفعال خاطئة وهذا نظرا لطبيعتها الحرة إلا أنها تتميز بجانب إيجابي كونها تحتكم إلى العقل، وهو ما يرشدها إلى تصويب الأفعال غير الصائبة التي تصدر عن تلك الطبيعة البشرية، فالانقياد للعقل تقتضيه الطبيعة الخيرة للإنسان باعتباره هو أساس الحق، ووحده العقل من يغير اتجاه سلوكات الفرد من الفساد إلى الصلاح، ويغرس في النفس حب الخير والفضيلة والخلق القويم.

ومع ديكارت تأسس عصر جديد منافي لكل العصور السابقة أو عصور الظلام حيث كانت سيطرة الكنيسة فلم يكن الإنسان يجيد استخدام عقله، ولا معرفة ذاته ولا طبائع النفس وشعورها وغرائزها فكان الفرد لا يعرف ما يقرر أن يفعله، فقد كان الناس يسيرون دون نور العقل، إلا أنه ومع هذا العصر تأسست طرق جديدة في التفكير خاصة فيما

[1] عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص 497.

تعلق بأمور السياسية والدين والمجتمع والأخلاق والدولة[1]، وكان هذا تمهيدا كظهور لعصر الثورات السياسية، والنظريات والاكتشافات العلمية خاصة مع أولئك الذين لحقوا من بعد ديكارت من الفلاسفة الانجليز أمثال توماس هوبز، وجون لوك، ولقد ساهموا في إحداث ثورة فكرية وسياسية بحيث بدأ عصر جديد في أوروبا، وبدأ عصر العقل ضد التقليد، والدولة ضد الكنيسة، والفرد ضد الجماعة، فبدأ الصراع على السلطة والتطرق حول الدين والنظر بعمق في طبيعة النفس، والاهتمام أكثر بنوازعها وغرائزها وضوابطها.

"فما من قرن كالقرن السابع عشر نظر بعين الريبة إلى القوى الفطرية لطبيعة متروكة لأمر نفسها، فهل لنا أن نعثر على صورة للإنسان الطبيعي المُخلّى بينه وبين صراع الانفعالات والأهواء دونما ضابط ولا وازع"[2].

2- مفهوم الطبيعة البشرية في فكر توماس هوبز (1588 – 1679) THOMAS HOBBES

هو فيلسوف ومفكر سياسي إنجليزي من أب قس درس في جامعة إكسفورد، اطلع على مبادئ إقليدس فاتخذ منه نموذجا منهجيا، وضع مبادئ القانون وكان بمثابة صيغة أولى لمذهبه الفلسفي والسياسي، وقد صدرت عنه شذرتان بعنوان: (في الطبيعة البشرية)، (وفي الجسم السياسي)، وقد أمضى ثماني وعشرين سنة في إنجلترا مع اللاهوتيين وعلماء السياسة، وقد أصدر كتابه في الجسم في العام نفسه مع العالم بالطبيعات روبرت بويل، حيث كان القاسم المشترك بين طبيعاته وسياسته هو الروح البناء والاستنباطي، ويبدأ هوبز بتعريف دقيق للألفاظ أو المعاني التي سيستخدمها، وبعدئذ يكفي الاستدلال وحده لتفسير جميع النتائج، ولقد كان تجريب النزعة بالإضافة إلى أن الدعوة السياسية التي يريد

[1] يحيى هويدي، قصة الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 43.

[2] اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، القرن السابع عشر، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1993، الجزء الرابع، ص5.

هوبز أن يشيدها على أساس بناء عقلاني للمجتمع هي دعوى سلطة العاهل المطلقة، ومن أشهر كتبه اللوفيتان Léviathan، وكذا كتابه المواطن[1].

"كما اهتم هوبز بالحالة الطبيعية الفطرية الأولى للإنسان، وأكد أن الطبيعة البشرية مؤدية إلى حالة حرب الكل ضد الكل، ونجده يصور حالة القطرة البشرية على أنها شريرة تعيش في إطار من العنف والصراع بين الإنسان والآخر حيث كان الإنسان عدوا للإنسان الآخر، ورفض هوبز التصور التقليدي الذي يقول بأن الإنسان بطبيعته حيوان اجتماعي، فهو يعتبر الإنسان في وضعيته الطبيعية خارج القانون، وخارج الدولة، أما السبب الوحيد لتضامن البشر يكمن في الحفاظ على مصلحتهم الخاصة، تبعا لاستعدادهم الطبيعي، "فأكثر الكتاب والسياسيين يعتقدون أن الإنسان ولدو فيه استعداد وميل طبيعي إلى الاجتماع، وهذا في نظر هوبز غير صحيح، فواحدنا لا يبحث أبدا في الحقيقة في المجتمع إلا عما يبدو له نافعا، والإنسان بطبيعته يصارع في الوحشية أضرى الحيوانات وأشدها شراسة" الإنسان ذئب للإنسان"[2].

"ففي الوضعية الطبيعية يعتبر كل إنسان مساويا للآخر، وبالتالي فإن له الحق في كل شيء، أي الحق بملكيته لكل شيء، وفعل كل ما يريد، فلكل إنسان الحرية في استخدام كل الوسائل التي تساعده في حفظ بقائه، وبما أن كل فرد يجهد لتحصيل منفعته الخاصة على حساب الآخر، وبما أنه يطمع باستمرار في التزود من الشيء نفسه فقد بات واضحا أن الوضع الطبيعي للناس قبل انتظامهم في الدولة كان الحرب، وتحديدا حرب الكل ضد الكل"[3].

[1] اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، القرن السابع عشر، مرجع سابق، ص174.

[2] نفسه ص 172.

[3] بيتز كونزمان وآخرون، أطلس الفلسفة، ترجمة جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 117.

وبهذا فإن حسب توماس هوبز لما يخلق البشر وهم متساوون بالطبيعة هو حالة الحرب في المجتمع، فكل إنسان تطغى عليه أنانيته، ويجب أن يسعى إلى تحقيق سعادته ورغباته الخاصة، فالإنسان أناني بطبعه، والطبيعة البشرية من وجهة نظره قائمة على حب النفس والمحافظة عليها، والطموح إلى تحقيق أكثر قدر ممكن من اللذات، كون اللذات هي التي تسعدها، وذلك من خلال السعي إلى كا ما يحقق لها القوة والسعادة والعظمة.

"ولقد حاول هوبز أن يستكشف الطبيعة الإنسانية لما من دور في التأسيس للنظام السياسي ويقرر أن الناس بطبعهم متساوون في الحقوق لكن من هذه المساواة في القدرة تنشأ مساواة في الأمل بتحقيق الغايات لذلك إذا شخصان شيء، واحد لا يقدران على الإستماع به كلاهما فإنهما يصبحان عدوين، وفي طريقهما إلى غايتهما يحاول كل واحد منهما تدمير أو إخضاع الآخر"[1].

"فالإنسان عند هوبز تحركه عاملان اثنان أولهما الرغبة، ثانيهما الكراهية، فالإنسان راغب أبدا في الاستزادة من مصادر القوة والثورة والمجد، وهو كاره أبدا لكل ما ينغص حياته يسبب له الكدر والشقاء والالام، وعلى ضوء هذين العاملين الأساسيين تمكن فهو أنواع السلوك البشري كافة مهما كانت معقدة وضاربة في الغموض، وموضوع القوة هو محور فلسفة هوبز وجوهرها"[2].

وقد ربط هوبز الطبيعة البشرية باللذة والألم كون الطبيعة البشرية باعتبارها تحمل بذور الشر فإنها تكرس للأنانية المطلقة، وتسعى دائما أن تمتلك كل شيء دون مراعاة

[1] علي عبود المحمداوي، الفلسفة السياسية، كشف لما هو كائن وخوض فيما ينبغي للعيش معا، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص 131.

[2] محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، دار الفكر، دمشق، سوريا، دط، 2010، ص 150.

مشاعر الآخرين أو الضوابط الأخلاقية في الوقت نفسه تخاف النفس من فقدان ما تملكه وتحاول جاهدة أن تتجنب كل ما يحدث لها ألما أو ضررا، فعندما يكون كل فرد متمسك بأنانيته ويسعى دائما إلى تحقيق الأفضل هو ما يخلق العنف والحرب في المجتمع بحيث لا يريد أي فرد أن يتنازل عن حقوقه، أو أي شيء يعتقد أنه يملكه للآخر، كون الأفراد في تلك الحالة الطبيعية أيضا كانوا يعيشون في انعدام القانون الذي قد يضبط غرائزهم وطبائعهم ويكفل حقوقهم.

"ونجد عنده تفسيرا آليا للإرادة، ذلك أنه يقول إن الحركة الدماغية التي هي التصور إذا ما بلغت إلى القلب نشطت الحركة الحيوية أو علاقتها، ففي حالة التنشيط تكون اللذة وتسمى خيرا وفي حال الخوف يكون الألم ويسمى شرا وتكون كراهية الشيء المؤلم، وحركة اللذة تدفع إلى اشتهاء الشيء، وحركة الألم تدفع إلى خوفه، فالاشتهاء والخوف هما الباعثان على جميع أفعالنا[1].

وبهذا فإن الطبيعة البشرية الأصلية للإنسان تميزت بالأنانية وحب النفس، والعمل بالمصالح على حساب الفرد الآخر، بالإضافة إلى طغيان الهمجية وانعدام القوانين بين البشر والعيش وفق قانون الغاب، فالحالة الطبيعية عند الإنسان حسب هوبز إنما تميزت بالصراع والخوف وعدم وجود الأمن والطمأنينة، حيث يقول هوبز: "إننا نجد في طبيعة الإنسان ثلاثة أسباب أساسية للصدام، الأول هو المنافسة والثاني عدم الثقة، والثالث المجد، الأول يجعل البشر يغزون لتحقيق الكسب، والثاني من أجل الأمن، والثالث من أجل السمعة، في الأول يستخدم الناس العنف ليجعلوا من أنفسهم سادة على الآخرين وزوجاتهم وأبنائهم، وفي الثاني ليدافعوا على أنفسهم، وفي الثالث من أجر أمور تافهة مثل

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 64.

كلمة أو ابتسامة أو اختلاف في الرأي"[1] ولما كان البشر في الحالة الطبيعية والتي اعتبرها هوبز حالة حرب ضد الكل، أي حالة صراع وفوضى، فالإنسان إنما طبيعته البشرية شريرة وغير مسامحة بل إنها تحصل لغة العنف، وهذا إنما كان في غياب الحالة السياسية، وغياب السلطة والدولة، وبهذا كان من الضروري الانتقال من مجتمع غير منظم إلى مجتمع قائم على العقد الاجتماعي، وذلك لأجل الوصول إلى حكم مدني قائم على حفظ الحقوق والملكيات.

يقول هوبز: "وفي الوقت الذي يعيش فيه الناس دون سلطة مشتركة تبقيهم جميعا في الرهبة، يكونون في الحالة التي تسمى حربا، وهي حرب بين كل إنسان، وكل إنسان آخر، فإن الحرب ليست المعركة فقط، أو فعل القتال، بل هي فترة من الزمن تكون فيها إرادة التنازع معلومة بما فيه الكفاية، وبالتالي فإن كل ما ينتج عن زمن الحرب، حيث أن كل إنسان عدو لكل إنسان، وفي حالة كهذه لا مكان للعمل لأن ثماره لا تكون مضمونة ولا ملاحة ولا معرفة لسطح الأرض، ولا حساب للزمن، ولا فنون ولا آداب ولا مجتمع، والأسوء من هذا كله وجود خوف متواصل، وخطر موت عنيف، كون حياة الإنسان وحيدة بائسة، بغيضة، قاسية، وقصيرة"[2].

ويؤكد هوبز أن الحياة مع ظهور الدولة والسياسة أصبحت وفق مقتضيات العقل وليست الغريزة، حيث أن الغريزة في الحالة الأولى هي من جعبت البشر يتصرفون كما يحلو للهم، وبالتالي فإن الحرب والعنف الذي ساد بينهم كان وفق غريزتهم وفطرتهم العدوانية الأولى التي جبلوا عليها، وهذا ما سمح بأن الطبيعة البشرية جعلت من الناس بأن يكونوا أنانيين، وأن حالة الطبيعة التي وجدت قبل أن يوجد المجتمع السياسي كان فيه

[1] توماس هوبز، اللفياتان، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب، مراجعة وتقديم رضوان السيد، دار الفرابي لهيئة أبو ظبي للثقافة والتراث أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011، ص 134.

[2] المرجع نفسه، ص 135.

الإنسان تميزه الاعتبارات الذاتية والأهواء وهو ما جعل الفرد منافسا للآخر، يقول:"قد يبدو غريبا لمن يزن جيدا هذه الأمور أن الطبيعة تفرق بين التبشر، وتجعلهم قادرين على اجتياح وتدمير بعضهم بعضا، وقد يرغب بالتالي لأنه لا يثق بهذا الاستنتاج الذي ينطلق من الأهواء في أن يتأكد من الأمر بالتجربة.. لكن أيامنا لا يتهم بذلك الطبيعة البشرية. إن رغبات الإنسان وأهواءه الأخرى ليستقي حد ذاتها خطايا كذلك الأمر بالنسبة إلى الأفعال التي تنتج عن تلك الأهواء"[1].

ورأى هوبز أن الطبيعة البشرية لا تتميز بخضوعها لمبدأ الرغبة والنفور فقط، إنما تخضع كذلك لمبدأ العقل، لأنه يعلم الناس كيفية حل تناقض الطبيعة وهو قوة تنظيمية يصبح السعي في ظلها وراء الأمر أكثر فعالية، والمحافظة على الذات وعى قوة العقل التنظيمية، وهنا يتوقف الانتقال من حالة الطبيعة إلى حالة المجتمع من أجل احترام الحقوق الطبيعية، كما رأى هوبز أن الطبيعة البشرية لا تتميز بخضوعها لمبدأ الأهواء والرغبة فقط، وإنما يخضع كذلك لمبدأ العقل، لأنه يعلم الناس كيفية تناقض الطبيعة، وهو قوة تنظيمية يصبح السعي في ظلها وراء الأمن أكثر فعالية، وعلى قوة العقل التنظيمية يتوقف الانتقال من حالة الطبيعة إلى حالة المجتمع، وقانون الطبيعة لدى هوبز هو ما يمليه عليه العقل السليم الذي يعلم الأشياء التي يجب عملها، والأشياء التي يجب استبعادها من أجل المحافظة المستمرة على الحياة.[2]

[1] توماس هوبز، اللفياتان، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب، مراجعة وتقديم رضوان السيد، مرجع سابق ،ص135.

[2] عبد الرضا الطعان، تاريخ الفكر السياسي، دار الروافد الثقافية، بغداد، العراق، دط، 1981، ص 111.

المبحث الرابع: مفهوم الطبيعة الإنسانية في فلسفة التنوير:

يحتمل مصطلح التنوير في عدة معان يمكن إجمالها في معنيين أساسين، معنى ديني هو نور الله، ومعنى فلسفي نور العقل، حيث أصبح التنوير في نهاية القرن الثامن عشر حركة فكرية وثقافية عالمية تدعو لاعتماد مبادئ العقل والعلم والحرية والتقدم، وأضحت الفلسفة تنير العقول من خلال علاقتها بمختلف العلوم وارتباطها بالتقدم والتحليل، كما شكلت في ذلك العصر طليعة ثقافية وسياسية لقيام الثورة الفرنسية والتي أعلنت عن حقوق الإنسان والمواطن، أما بالنسبة للمجال الديني فتحول الدين إلى عنصر من عناصر الحياة، إذا أصبح جزء من الحياة بعد أن كان هو الحياة نفسها، خاصة مع سيطرة الكنيسة في عصور الظلام[1].

ومن مبادئ هذا العصر أيضا (عصر التنوير) الاهتمام بمركزية الإنسان، والتركيز على ملكة العقل ومبادئه والتي منح الإنسان إياها لكي يستخدمها للتمييز بين الخطأ والصواب، بين الواقع والوهم، بالإضافة إلى الاهتمام بطبيعة الإنسان وكيفية محاولة معرفة الفطرة الأولى التي جبل عليها الأفراد خاصة وأن الطبيعة البشرية تتعلق بحالة الإنسان الأول حيث كان سائدا القانون الطبيعي، وغياب القانون السياسي، وهي ما سميت بحالة الطبيعة البشرية. وتميز بها البشر دون غيرهم من الكائنات، وهو ما أدى بضرورة معرفة ماهية هاته الحالة الطبيعية، وهل الإنسان خير أم أناني بطبعه؟

ولقد كان أيضا من إفرازات عصر التنوير تطوير مختلف العلوم والفنون في جميع أنحاء أوروبا كالشعر والفن واللغة والمسرح، بالإضافة إلى ظهور التيارات الفكرية والدينية والفلسفية والمذاهب السياسية التي شملت أوروبا خاصة مع ظهور فلاسفة كان لهم الأثر في هذا العصر، ونخص بالذكر جان جاك روسو والذي اعتبر من أوائل ما يسمى بعصر

[1] هاشم صالح: مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 4.

العقل حيث قام فلاسفة بوضع كتب في نقد الدين ومنهم لوك خاصة فيما تعلق بمؤلفه معقولية المسحية، وذلك من خلال دعوته للتسامح وحرية المعتقد وعدم تدخل الكنيسة في شؤون الدين، ولقد اعتبر عصر التنوير عصر انتصار للفكر الاجتماعي والفلسفي للتنوير الحر، والذي شمل أوروبا حيث مهد الطريق لقيام الثورة الفرنسية الإعلان عن حقوق الإنسان الذي كان لها صدى خاصة مع جون جاك روسو.[1]

1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر جون جاك روسو (1712 – 1778) J.J ROUSEAU

جان جاك روسو وإن كان فيلسوف بالمعنى الفرنسي في القرن الثامن عشر لم يكن كما يمكن أن تدعوه الآن فيلسوفا، ومع ذلك فقذ كان له نفوذ قوي على الفلسفة، كما كان له على الأدب والذوق والأخلاق السياسية، إلا أنه ومنذ زمان روسو انقسم أولئك الذين اعتبروا أنفسهم مصلحين إلى جماعتين، أولئك الذين اتبعوه، وأولئك الذين اتبعوا لوك، وكانوا أحيانا يتعاونون، وفي أيامنا هذه يعد هتلر خلفا لروسو، بينما يعد روزفلت وتشرشل خلفين لوك، وقد عمقت أفكاره في بحث بعنوان مقال في انعدام المساواة، والذي فشل مع ذلك في الفوز بجائزة.

أخذ في قوله أن الإنسان خير بالطبيعة، وأن المنظمات وحدها هي التي تجعله سيئا وهذا نقيض الخطيئة الأولية والخلاص بواسطة الكنيسة، ومثل معظم أصحاب النظريات السياسية في عصره تحدث عن حالة الطبيعة، ويرى أنه ينبغي لنا أن نستنبط القانون الطبيعي من حالة الطبيعة[2].

---

[1] فريدريك كوبلبستون، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى لينبتز، ترجمة وتعليق سعيد توفيق، محمود سيد أحمد، مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، ط1، 2013، الجزء الرابع، ص 61.

[2] برانتد راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الفلسفة الحديثة، ترجمة محمد فتحي الشنطي، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، دط، 1977، الكتاب الثالث، ص 287، 292.

وكان روسو مثل الفلاسفة الذين سبقوه، فقد كان مهتما بطبيعة الإنسان الفطرية وعن كيفية اندماجه مع الجماعة، بالإضافة إلى تطرقه إلى للمجالات السياسية، وتركيزه على المجال التربوي: "وقد كان روسو مقتنعا أن الإنسان خير بطبيعته، فدافعه الطبيعي للحفاظ على نفسه وتعاطفه مع الآخرين يكفلان له حياة منظمة جدا، إن لم يكونا بديلين عن شرور الحضارة، فقد كان يرغب في تحسين أحوال المجتمع، غير أنه لم يكن يعرف كيف يحدث ذلك، والنتيجة النهائية لتلك الأعمال هي إثارة عدم الرضا بالنظام الاجتماعي، وإثارة رغبة غامضة في العودة لحياة الطبيعة"[1].

ويؤكد روسو أن الطبيعة خلقت البشر جميعهم سواسية في جميع نواحيهم، حيث كان الأفراد في حالتهم الطبيعية الأولى أحرار فيما بينهم، إلا أن هذه الحرية لم تكن تؤدي إلى الأنانية، وإنما كانت حرية منبعها الخير، فكانت حالة حرية تتسم بالمساواة والسعادة لكل أبناء البشر، يعيشون تحت كنف قانون الطبيعة، وهذا إنما قبل نشأة وقيام الدولة.

يقول روسو: "كل شيء يصنعه خالق البرايا حسن، وكل شيء يفسد بين يدي الإنسان والسلطة، والضرورة والقدوة وجميع النظم الاجتماعية التي نعرف فيما تخنق الطبيعة وهي تغدو كالشجيرة التي تنبتها المصادفة في وسط طريق، فلا يلبث المارون أن يهلكوها بصدمها من كل جهة، فإليك أوجه حديثي أيتها الأم الحنون البصيرة التي تعرف أن تبتعد عن الشارع، وأن تصون الشجيرة الناشئة من صدم الآراء البشرية"[2].

"وكتب روسو موضوعه حول تخريب العلوم لحياة الإنسان، وانتهى فيه إلى أن حالة الطبيعة عند البشر لم تكن حالة حرب (الكل ضد الكل) كما تصور هوبز إنما كانت حالة

[1] وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، ترجمة ومراجعة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، دط، 2001، ص 230.

[2] جان جاك روسو، إيميل أوالتربيه، ترجمة عادل الزعيتر، تقديم محمود كامل التاقة، دار الكتب، القاهرة، مصر، دط، 2015، ص 27.

سلام ووئام، واستمرت كذلك إلى أن تقدمت العلوم وتأصلت الحضارة فزرع معها الشر، واستعر الشجار بين البشر"[1].

ويرى روسو أن حالة الطبيعة باعتبارها حالة افتراضية تشير إلى تلك اللحظة التي كان يتمتع فيها الإنسان بحقوقه الطبيعية، لكن التغييرات التي طرأت على حياة الإنسان من بيئة اجتماعية وحضارة فرضت عليه الدخول في مجتمع اجتماعي مرهون بعقد اجتماعي يحفظ لكل فرد حقوقه المدنية والسياسية، وبالتالي فإن روسو يؤكد على ضرورة الحق الوضعي ليسود العدل وينقض التفاعل بين الأفراد بموجب هذا الاتفاق أو العقد، ومن خلاله يتجاوز البشر الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية.

"فالانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية أوجد في الإنسان تغيرا ملحوظا، إذ أحل في تصرفاته تقييم العدل محل العبث والعشوائية، وأكسب أفراده أدبا كان يعوزها من قبل. أن ما يفقده الإنسان بالعقد الاجتماعي هو حريته الطبيعية، والحق غير المحدود الذي كان له على كل ما يستهويه ويجنيه، وأما ما يكسبه فهو الحرية المدنية وملكيته جميع ما في حيازته، واجتنابا في الوقوع بأي نوع من أنواع الخطأ أو الغبن فيما يعطيه الفرد وما يأخذه في المقابل، بحيث يجب الحرص على التمييز بين الحرية الطبيعية التي ليس لها حدود إلا قوى الفرد، والحرية المدنية التي تكون محدودة بالإرادة العامة"[2].

أما الظرف الأكثر صدقا فقد دعاه روسو بحب الذات الذي دائما ما يكون خيرا، ودائما ما يكون متوافق مع نظام الطبيعة، فحفظ حياتنا يعد محل ثقة الجميع، ويجب أن يكون همنا الأول هو الحرص على حياتنا، وكيف لنا أن نحرص على حياتنا باستمرار ما

[1] محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، دار الفكر، مرجع سابق، ص 178.

[2] نعمون مسعود، التأسيس الفلسفي في فكرة حقوق الإنسان عند روسو، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، فريدة غنوة، حيرش، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة 2008، منشورة ص 46.

لم نوليها بأعظم ما لدينا من اهتمام، ونحن بتفادينا لتلك الحياة التي نسعى فيها لأن نكون أناسا آخرون غير أنفسنا من أجل أن نجعل الآخرين مثلنا، إنما نركز على أنفسنا وتنمية مشاعرنا الفطرية، وميولنا الطبيعية، فظهور فبظهور هذه الأخيرة نصل إلى فهم كامل لطبيعتنا الحقيقة، فالعواطف النبيلة والرقيقة إنما تنطلق من حب الذات، في حين تنطلق مشاعر الغضب والكراهية من الأنانية.[1]

واعتبر روسو أن أحكامنا حول المجتمعات التي نعيش فيها تشكل بصورة كبيرة من خلال رؤيتنا للطبيعة البشرية، واعتقد أن أن الإنسان كلما ابتعد عن الطبيعة فقد شيئا من بساطته وطيبته، وكلما عاش في مجتمع مترف أصبح أكثر شقاء وتعاسة وشراسة، بالإضافة إلى طغيان المنافسة مع الآخرين وكيفية التفوق عليهم، ففي الحالة الطبيعية الأولى لا وجود للملكيات الخاصة، ومن هذا المنطلق دعا روسو إلى ضرورة إنشاء دولة وإقامة مجتمع مدني لحفظ الممتلكات والحقوق دون تأثير سلبي على المستوى الأخلاقي والاجتماعي للأفراد.[2]

هذا وقد شهد مفهوم الطبيعة البشرية منذ بداية الفكر الإنساني اهتماما بالغا بداية من الفلسفة اليونانية، ووصولا إلى الفلسفات التنويرية والمعاصرة، حيث أن لم يكن موقف الفلسفات على مر العصور ثابتا، بل شهد عدة تغيرات، فكان لكل فلسفة منطلقاتها الفكرية حول الطبيعة البشرية.

فالطبيعة البشرية لها عدة أبعاد، وكل ذلك يبين سبب اختلاف مفهوم الطبيعة البشرية من فلسفة إلى فلسفة أخرى، كون أن دراسة الإنسان في علاقته مع الطبيعة متغيرة نسبية، وأن الطبيعة البشرية تتحكم فيها عوامل ذات أبعاد مختلفة من نزوات

[1] ستيفن ديليو، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، ترجمة ربيع وهبة، مكتبة الاسكندرية، مصر، دط، 2000، ص 221.
[2] نفسه، ص 228.

ورغبات وأهواء، وغيرها يصعب على الفرد ضبطها أو التحكم فيها، أو التعرف على ماهيتها. وهو ما جعل الآراء من حولها تختلف من طرف الباحثين والمفكرين والفلاسفة في تحديد ماهية هاته الطبيعة، ومحاولة التعرف على ميزاتها ومدى علاقاتها مع الفرد.

الفصل الثاني

سؤال الطبيعة الإنسانية في فلسفة جون لوك

المبحث الأول: مصادر فكر جون لوك

المبحث الثاني: ماهية الطبيعة الإنسانية عند جون لوك

المبحث الثالث: الانتقال من الحالة الطبيعية إلى المجتمع السياسي عند جون لوك

تمهيد:

لقد ارتبط عصر جون لوك بالقرن السابع عشر، وهو عصر ساد فيه نور العقل، هاته الحقبة التنويرية تلت العديد من الاكتشافات العلمية المهمة التي حصلت في عصر النهضة، وتحول مفهوم التنوير ليشمل بشكل عام أي شكل من أشكال الفكر الذي يزيد تنوير العقول ويحررها من الظلام والجهل والخرافة التي كانت عالقة فيها، حيث أصبحت الفلسفة إثارة للفكر، مستفيدة في ذلك من مساهمة العلوم وازدهار المعارف، وبدأت القدرة المميزة للعقل البشري في حل المسائل العالقة في ذلك، ومع تطور العلوم وتوسعها بدأ الكثير من المفكرون برفض الواقع الديني والسياسي الذي سيطر لقرون عدة، بحيث كانت هذه السيطرة الدينية وسيلة حجب الفكر الحر، وسبب رئيسي في تخلفه، كما اهتم هذا العصر باكتشاف القوانين التي تنير الكون سواء القوانين الطبيعية أو القوانين البشرية.

ولم يقتصر هذا العصر على علاقة المجتمع بالدين ومؤسساته فقط، بل أصبح التشكيك في شرعية الحكام والملوك وهذا ما اقتصر على المجتمعات الأوروبية كما حصل في بريطانيا وفرنسا، ولقد سعى مفكرو العصر إلى حل مشاكلهم بطرق مبنية على المنطق، ومن جهة نظر كل فيلسوف الخاصة في حل مشاكل مجتمعه، وذلك من خلال التركيز على الطبيعة البشرية والحقوق الطبيعية للإنسان، وما هي صفات الحاكم الجيد؟ وحرية التدين وضرورة التسامح الديني، وكان هذا ما تزعمه جون لوك حيث كانت جل فلسفته بمثابة حركة مفصلية في تاريخ انجلترا، كونه خاض غمار الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية، وتطرق لميادين عدة كالعلم والمعرفة والتربية والتسامح الديني، والدعوة إلى الحرية في التعبير والتدين خاصة مع ظهور الليبيرالية كحركة سياسية، ولقد كانت فلسفته مستقاة من بعض أفكار فلاسفة عاصروه، ومناهج علمية سادت في عصره، وهو ما بني عليها فلسفته فيما بعد، والتي تجلت في المجالات السياسية والتربوية والمعرفية، كما اهتم جون لوك منذ بداية فلسفته بالتساؤل عن طبيعة الإنسان الفطرية، واشتغل في البحث عن

مصدرها، وهل كانت خيرة أم شريرة؟ وهل يحتكم البشر في سلوكهم إلى العقل في طبائعهم أم لا؟ وكيف كانت حياة البشر قبل وجود المجتمعات المنظمة؟ وما أسباب انتقال الأفراد من الحياة الطبيعية إلى الحياة السياسية؟ وهو نفسه الإشكال الذي تناوله فلاسفة سبقوا لوك أو تأثروا به ويتعلق الأمر بتوماس هوبز الانجليزي، وجان جاك روسو الفرنسي، حيث تبلورت إشكالية بشأن الطبيعة البشرية، واختلفت وجهات النظر بشأن هذه الإشكالية بالإضافة إلى التساؤل عن كيفية انتقال البشر من طور طبيعي إلى سياسي عن طريق ما يعرف بنظرية العقد الاجتماعي.

المبحث الأول: مصادر فكر جون لوك* (john locke)

يعتبر الفيلسوف الانجليزي جون لوك من أهم الفلاسفة الانجليز التجريبيين حيث ترك أثرا كبيرا على الفكر السياسي في الغرب، وعلى الفلاسفة اللاحقين له، إلا أنه تأثر هو الآخر بفلاسفة قبله، ومناهج علمية سادت في عصره بنى عليها أفكاره وفلسفته في التربية والسياسة وغيرهما، ونذكر من بين هذه المصادر ما يلي:

1- تأثره بالمنهج العلمي الذي كان سائدا في عصره، حيث اعتبر أول فيلسوف يطبق المنهج التجريبي في الفلسفة خاصة فيما تعلق بمبحث نظرية المعرفة وحول مصدرها الذي يعود إلى التجربة كون لوك عمل على محاولة تطبيق المنهج الاستقرائي في فلسفته وكانت التصورات الجديدة التي أدخلها العلم تأثرت تأثيرا عميقا في الفلسفة الحديثة بصفة عامة وعلى فلسفة جون لوك بصفة خاصة.[1]

***جون لوك (1704 – 1632)**: ولد جون لوك في قرية سومرسيت، ووافته المنية في المنزل الريفي لأصدقائه آل ماشام بمدينة إسكس، انخرط في تقلبات السياسة الداخلية الانجليزية، كان آل مراسليه تقريبا يصفونه بدون سخرية بأنه ببساطة أعظم رجل في العالم، ثم ذاع صيته بوصفه فيلسوفا بدءا من لحظة نشر مؤلفاته، ولاسيما عمله الرائع الصادر عام 1989 تحت عنوان: مقال في الفهم البشري واستمرت هذه الشهرة دون انقطاع إلى يومنا هذا.

كان يرى لوك أن المعرفة الحقيقية في العالم تنشأ عن طريق التجربة والملاحظة العقلانية في البداية، لكن الإنسان الطموح الذي لا يكتفي بالمعرفة التي هو مؤهل لها والتي كانت نافعة له سيحتاج إلى أن يتغلغل في الأسباب الكامنة وراء الأشياء وأن يؤسس المبادئ وأن يضع لنفسه مسلمات وثوابت حول عمليات الطبيعة وآلياتها ومن ثم يضن عبثا أن الطبيعة أو في الحقيقة الإله ينبغي أن تسير طبقا للقوانين الواردة في مسلماته وثوابته تلك، وكانت الخلفية من البحث العلمي التجريبي هي ما تأثر به لوك أثناء قراءته للفيلسوفين الأوروبيين العظيمين للثورة العلمية المبكرة، وهما رينيه ديكارت، وبيير جاسندي الذين أثرت آرائهما فيه تاثيرا عميقا في أواخر الستينات من القرن السابع عشر(1).

(1) جون دن، جون لوك، مقدمة قصيرة جدا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2016، ص 18، 24.

"فإذا كان التفكير العلمي هو السائد ذلك الوقت، وإذا كان هذا المنهج هو الذي أثر في لوك تأثيرا كبيرا فإننا نستنتج من ذلك أن تطبيق لوك للمنهج الاستقرائي في الفلسفة كان نتيجة لتأثره بالفكر العلمي وصيغته التي سادت في الفكر الإنساني في ذلك الوقت، بل ومازالت حتى عصرنا الحاضر، حيث أن التفكير العلمي لم يكن وحده المؤثر في فكر لوك بل كان إلى جانبه عوامل مختلفة ومتعددة"[1]

أولا: الفلسفة اليونانية والرومانية:

1. أرسطو: لقد تأثر جون لوك بأرسطو واضحا خاصة فيما تعلق بجوهرية النفس وتبني لوك للنزعة الحسية التي أخذ بها أرسطو بالإضافة إلى أنه يتفق معه في أن الإنسان متكون من جسد وروح، كما تأثر لوك بأرسطو الذي ذهب إلى أنه لا يوجد شيء في النفس أو العقل ما لم يكن من قبل في الحس، ويبدو ذلك المعنى من قوله كذلك كتاب النفس: وهذا ما ذهب إليه لوك خاصة في الكتاب الأول من مقالة في العقل البشري.[2]

وترك لنا جون لوك ميراثا عقليا في موضوعات شتى منها نظرية المعرفة والسياسة والأخلاق والتربية واللاهوت، ومن أهم مؤلفاته ما يلي:=

[1] براتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 58.

= 1) مقالة في العقل البشري الإنساني 1671.=

2) مقالة تتعلق بالأصل الحقيقي واستمرار ونهاية الحكومة الأهلية.

3) بعض الأفكار عن التربية 1693 و 1695.

4) روح التسامح 1692.

5) معقولية النصرانية 1695.

6) رسالتان عن الحكومة. 1690 (1694) وتضم موضوعات سياسية وثورية دفعته لكتابتها الأحوال السياسية وخبرته في العمل السياسي.

أما عن نسق لوك الفلسفي يقول فولتير VOLTAIRE: إن هناك كثيرين تحدثوا أو كتبوا قصصا رومنسية عن الروح لكن لوك وحده –هرقل الميتافيزيقا– هو الذي كرس تاريخها (2).

[1] عزمي إسلام، جون لوك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، دط، 2006.

[2] المرجع نفسه، ص 23.

"وكان تأثر لوك بأرسطو كذلك واضحا فيما يتعلق بوظيفة العقل، فمن أقسام النفس عند أرسطو ما سماه بالعقل المنفعل، وبالعقل الفعال بحيث كان الأول هو الخاص بتلقي الانطباعات الحسية والذي يجب أن يكون الأمر فيه كالحال في اللوح الذي لم يكتب فيه شيء بالفعل بينما كان الثاني هو القادر على التقدير والتذكر والتخيل، إذ أنه بدون العقل الفعال لا يمكن أن نعقل، فأما الوظيفة الأولى فسلبية تتمثل في تلقي الانطباعات الحسية من الخارج، وتتمثل في الصفحة البيضاء تسمى الوظيفة الإنجابية فتنبيهه بالعقل الفعال عند أرسطو الذي هو سبب جميع العمليات العقلية"[1].

2. أبيقور: "نجد تأثر جون لوك بأبيقور خاصة فيما تعلق بالمعرفة الحسية وأن الحواس هي التي ترشد المرء إلى تحديد طبيعة الشيء، فيصدر الحكم بعد ذلك عن طريق الإدراك الحسي إذ نلاحظ أن نفس الفكرة التي ذكرها لوك عن طريق تكوين الأفكار تكاد تكون موجودة بشكل مبسط أولي عند أبيقور، الذي يذكر أن الإحساس يؤدي إلى تكوين الأفكار في الذهن معنى كليا تتبناه في لفظ، وعلى ذلك فالإحساس هو أساس المعرفة"[2].

---

[1] فاروق عبد المعطي، جون لوك، من فلاسفة الانجليز في العصر الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 19.

(2) جون دن، جون لوك، مقدمة قصيرة جدا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2016، ص 18، 24.

وترك لنا جون لوك ميراثا عقليا في موضوعات شتى منها نظرية المعرفة والسياسة والأخلاق والتربية واللاهوت، ومن أهم مؤلفاته ما يلي:

(3) إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، مرجع سابق، ص 255، 257.

[2] عزمي إسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص 23.

"بالإضافة إلى المدرسة الرواقية التي أعلت هي الأخرى من شأن الحواس فيما تعلق بكونها المصدر الأول للحصول على المعرفة حيث جعلت من الحواس دورا أساسيا في المعرفة الإنسانية.

ويبدو أن تأثر لوك بشيشرون كان كبيرا كونه نادى بالاتجاهات الحسية والفلسفة المادية، ورأى أن عملية التفكير ذاته عملية مجردة ذاتية تتم داخل ذهن صاحبها ولا تكون صحبة إلا عندما تكون متوافقة مع العالم الخارجي وتصدقها الحواس، فالتفكير المجرد لا يوصل وحده إلى الحق لكن لا بد أن يكون مدعوما بالمعرفة الحسية وهو ما نادى به جون لوك فيما بعد"[1].

ثانيا: الفلسفة المدرسية:

" كان تأثر لوك بفلسفة العصور الوسطى أكثر من تأثره بالفلسفة اليونانية واللاتينية، وذلك يرجع إلى أن أولى تعليمه في أكسفورد كان مدرسيا مما ترك أثرا واضحا في كثير من كتاباته وأفكاره الفلسفية، فأغلب أفكار لوك الفلسفية الرئيسية مأخوذة أساسا من الفلسفة المدرسية التي أخذ عنها تخطيطها المنطقي للفلسفة خاصة فيما تعلق بالميتافيزيقا وفكرته عن الله والعالم، كما تأثر بالعوامل الثقافية التي ترسب في ذهنه منذ طفولته، وبدأ بناء فلسفته على التراث الفكر المدرسي"[2].

ومن خلال هذا يتضح لنا أن لوك قد بدأ ببناء فلسفته على التراث الفكري المدرسي قد تبرير الوحي الديني بالعقل، بالإضافة إلى استخدامه المنطق في إثبات وبرهنة أن عقائد الوحي لا تخالف العقل والمنطق، بل تتطبق معه، وهو ما كان واضحا في أفكار لوك حول ميتافيزيقاه عن وجود الله والإنسان والعالم، ومدى خوض العقل في معالجة إشكالات الطبيعة.

---

[1] فاروق عبد المعطي، جون لوك، من الفلاسفة الانجليز إلى العصر الحديث، مرجع سابق، ص 20.

[2] عزمي إسلام، جون لوك، مرجع سابق ص 24.

1) **ديكارت:** يقول لوك: "لقد ربكنا أنفسنا حينا من الدهر دون أن نخطو خطوة واحدة نحو حل ما تحيرنا من شكوك، ثم عنت لي بعد ذلك فكرة هي أننا نسير على غير هدى، وأنه ما كان ينبغي البدء في مثل هذه الأبحاث أن نختبر قوتنا لنرى أي الموضوعات تصلح عقولنا لمعالجتها، ولأنها لا تصلح، وما أشبه قول لوك في هذا بديكارت أنه لا يجوز لنا بحال من الأحوال أن نقوم بأي بحث أو دراسة قبل أن نستيقن أولا هل يقع هذا البحث أو هذه الدراسة في حدود قدراتنا العقلية أم لا"[1].

تأثر لوك بديكارت في كيفية معرفة الحقائق البديهية والاطلاع العقلي المباشر على الحقائق، وذلك عن طريق عمل العقل وإدراك الذهن للأمور الحدسية، وهو ما يُقصد به نور العقل والنور الطبيعي الذي ينقلنا إلى باطن الأشياء وهو ما تشارك فيه الاثنين.

كما كانت مؤلفات ديكارت أول ما جعل لوك يتذوق الفلسفة ويستمتع بها، خاصة في طريق البحث والمعرفة الحدسية وفي معرفة الذات، وفي تناول مشكلات الفلسفة. فقد كتب ديكارت في كتابه قواعد لهداية العقل فيقول: "يبدو لي أنه لن يكون هناك شيء أكثر فسادا أو إخفاقا من أن يناقش الإنسان بكل اندفاع أسرار الطبيعة وتأثير النجوم وخفايا المستقبل قبل أن يسأل نفسه عن مدى ملائمة العقل الإنساني وقدرته على مناقشة هذه المشكلات"[2].

حيث أقر ديكارت أن العقل لا قدرة له على إدراك بواطن الأمور بل يدرك ظواهرها فقط ذلك أن قدرة العقل محدودة خاصة فيما تعلق بفكرة اله وما ذهب إليه لوك.

"وهو نفس المعنى الذي ذهب إليه لوك حين رأى أنه يجب على الإنسان قبل أن يبحث في مشكلات الطبيعية أن يبدأ بدراسة قدراته العقلية لكي يعرف لأي الموضوعات تصلح، وأيها لا تصلح، هذا ويبدو تأثير ديكارت في فلسفة لوك في أكثر من موضوع في

[1] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة، دط، 1936، ص 202.

[2] فاروق عبد المعطي، جون لوك، من الفلاسفة الانجليز إلى العصر الحديث، مرجع سابق، ص 22.

كتابه مقالة في العقل البشري، وفي الكتاب الرابع على وجه الخصوص الذي يتناول فيه أنواع المعرفة ودرجاتها وخاصة المعرفة الحدسية والبرهانية"[1].

وبالرغم من تأثر جون لوك بديكارت إلا أن هناك بعضا من الأفكار الاساسية التي يتعارض فيها، فديكارت باعتبار فيلسوف عقلاني فهو يمنح الوعي الذاتي مكانة أساسية لإنتاج المعرفة، أما جون لوك فكان خلافا له حيث يعتقد أن إنتاج المعرفة وأن أساس هوية الفرد هو الشعور والفكر، ولكن مقترن بالحس بمعنى أن الشخص أثناء قيامه بأفعال مختلفة فهو يشعر ويحس بها في الوقت نفسه، ومن هنا أعطى لوك أهمية كبرى للشعور والوعي في مقابل الإحساس وذلك انسجاما مع توجهه الفلسفي التجريبي خلافا لديكارت الذي كان منحاه للمنهج العقلاني الرياضي، وهكذا فإن الفلسفة التجريبية في انجلترا جاءت كردة فعل على الفلسفة العقلانية في أوروبا، والتي بلورها لوك في كتابه مقالة في الفهم البشري عام 1960.[2]

حيث يقول لوك: "يجزم بعض الناس بأن في الذهن مبادئ فطرية معينة، وعددا من المفاهيم والحروف قد طبعت إن صح التعبير على عقل الإنسان منذ أن وجد وجاء بها معه إلى العالم، ويكفي للتدليل على بطلان هذا الزعم بأن نبين أن الناس يستطيعون باستخدام ملكاتهم الطبيعية فقط أن يحصلوا على المعرفة التي بحوزتهم دون الاتجاه إلى الانطباعات الفطرية وأن يتوصلوا إلى اليقين بدون مثل هذه المفاهيم أو المبادئ"[3]

"فلوك قد قطع صلته بطريقة حاسمة على برنامج المذهب العقلاني فقد نموذج الرياضيات على تقدير العقلانيين الذي رأوه قادرا على تزويدهم بنموذج لكيفية إنشاء الحجج الفلسفية وأيضا بمعيار المعرفة يعتقد أنه يقبل التطبيق بوجه عام، ونظر إلى

[1] نفسه، ص 23.

[2] ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة، ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1997، ص 123.

[3] نفسه، ص23.

اليقين في المنطق على أنه يقين يناسب كل معرفة حقة، أما لوك فقد تأثر أكثر من ذلك بالعلوم الفيزيائية الحديثة العهد في تيار التقدم واعتقد أن هذه العلوم معاييرها للحقيقة".[1]

2) أفلاطون كامبرج*: لقد آثر جون لوك ببعض أفكار أفلاطوني كمبرج في أفكار عدة ومنها ما يلي:

"وتأثره بالتفرقة التي ذهب إليها أفلاطون كمبرج وخاصة هنري صور بين الجسم والمكان أي بين المادة الممتدة وبين المكان الذي يمكن أن تشغله بالإضافة إلى تصورهم للجوهر الروحي وخاصة فكرة الله، وتأثره في قولهم بحاجة الإنسان إلى التصورات الدينية لكي تساعدهم على فهم وتفسير الظواهر الطبيعية، وإلى ضرورة الوحي لاستكمال العرفة، ذلك لأن العقل لا يمكن الركون إليه إلا فيما تعلق بما هو داخل في حدود مجاله وإمكانياته، وفي أنه لا يوجد مكان للتنازع بين العقل والإلهام، لأن كل منهما يكمل الآخر"[2].

---

[1]JHON LOCKE, Essay concernning human understanding, ed, S, P, Lampreecht, scribners NEW YORK, 1928, p96.

***أفلاطونيو كامبردج:** وهم عدد من الفلاسفة أسسوا مدرسة دينية ازدهرت في كمبرج في منتصف القرن السابع عشر، وأهم ممثليها بنايمين وتشيكوت وجون سميث، وهنري موررالف كودورث، ولقد اهتموا بنقد فلسفة هوبز المادية وكانوا بصفة عامة عقليين في نظراتهم الفلسفية وخاصة التوفيق بين الاتجاه الأفلاطوني العقلي، وبين الفلسفة الدينية المسيحية.

فاروق عبد المعطي، جون لوك، من الفلاسفة الانجليز إلى العصر الحديث، مرجع سابق، ص 23.

بسيير جسندي (1592 – 1655) PIEERE GASSENDI

فيلسوف وعالم فلك وعالم رياضيات فرنسي شغل منصب في الكنيسة في جنوب شرق فرنسا، كان قائد مجموعة من المثقفين ذوي التفكير الحر، ويعتبر أحد أوائل المفكرين الذين صاغوا النظرية العلمية الحديثة للشكوكية الحديثة التجريبية، تصادم مع معاصره ديكارت بخصوص احتمالية المعرفة.

انظر www.http//ar.wikipedia.or

*بسيير جسندي (1592 – 1655) PIEERE GASSENDI

وتأثير أفاطونيي كمبردج لا يظهر فقط في أفكار لوك الفلسفية، بل كذلك في فلسفته الدينية، مثل خطابات في التسامح، ومعقوليته المسيحية.[1]

3) **جسندي:** "ولقد بدى تأثر لوك كذلك بأفكار الفيلسوف الحسي الفرنسي بيير جسندي الذي كان من أد المعارضين للفلسفة المدرسية التي كانت تدرس في الجامعات، وفي ذلك الوقت والذي كان معروفا بنقده لديكارت والديكارتية، وخاصة بالنسبة لفطرية المعرفة، ويبدو تأثير جسندي في لوك بوضوح في قوله: 'إن كل فكرة توجد في العقل إنما يكون أساسها راجعا إلى الحواس'"[2].

فجون لوك في تأثره بجاسندي في رفضه للأفكار الفطرية وإيمانه بالخبرة المكتسبة عن طريق الحواس، فالخبرة الحسية هي مصدر كل المعارف، فمثلا لو ولد شخص ما فاقد لجميع حواسه، فإنه لن يتمكن من تكوين أي فكرة أو معرفة على الإطلاق لأنه فاقد للحواس، وبالتالي مفتقد الخبرة الناتجة عن الخبرة الحسية هو ما تأثر به لوك عن جاسندي*، خاصة فيما تعلق برفض الأفكار الفطرية.

4) **المنهج العلمي وتقدم العلوم:** ومن بين أحد العوامل التي تركت أثرا كبيرا في فلسفة لوك تأثره بالمنهج العلمي السائد في عصره، وهو المنهج التجريبي بالإضافة إلى الاكتشافات العلمية أو ما يسمى بمرحلة العلم الطبيعي، واعتبر من بين الفلاسفة الذين تأثروا بالمناهج العلمية، والتي عملت على إيقاظ الوعي الإنساني والإعلاء من شأن

فيلسوف وعالم فلك وعالم رياضيات فرنسي شغل منصب في الكنيسة في جنوب شرق فرنسا، كان قائد مجموعة من المثقفين ذوي التفكير الحر، ويعتبر أحد أوائل المفكرين الذين صاغوا النظرية العلمية الحديثة للشكوكية الحديثة التجريبية، تصادم مع معاصره ديكارت بخصوص احتمالية المعرفة.
أنظر www.http//ar.wikipedia.org

[2] عزمي إسلام، جون لوك، مرجع سابق ص 26.

[1] فاروق عبد المعطي، جون لوك، من الفلاسفة الانجليز إلى العصر الحديث، مرجع سابق، ص 22.
[2] عزمي إسلام، جون لوك، مرجع سابق ص 27.

العقل، والانفتاح على التجارب الحسية والتي تقود الباحث إلى اكتشاف القوانين الطبيعية والقائمة على الطريقة الاستقرائية.[1]

ومن بين أهم العوامل التي تركت أثرا في فلسفة لوك، وصبغت أفكاره بالصبغة العلمية والذي كان يمثله ثلاثة، اثنان من العلماء، والثالث من الفلاسفة، وهو نيوتن روبرت بويل، وفرنسيس بيكون خاصة في كتابه الأورغافون الجديد، وهو ما أثر في لوك فيما بعد، وقد استفاد لوك من تقدمهم العلمي الهائل وبحوثهم كونهم كانوا في طليعة من استخرجوا النتائج الفلسفية للعلم الحديث، وحللوا مضمونه تحليلا ينتزع مدلولها بالنسبة إلى الفلسفة والسياسة والدين.[2]

ويمكننا أن نذكر أن لوك لم يكن مبتكرا أو مبدعا خلاقا لهذه الآراء قدر ما كان مطورا للاتجاهات العملية في ذلك العصر، مستنتجا منها، مطبقا لها في مختلف الميادين وذلك لا يقلل على الإطلاق من قيمته وأهميته، وتأثيره في عالم الفلسفة وميدان السياسة والأخلاق، فنشأته في هذا شأن أي إنسان أو فيلسوف أو مصلح اجتماعي آخر، يتأثر دائما بالمجال الاجتماعي الذي يعيش فيه، وبالتراث الفكري والفلسفي والعلمي والثقافي الذي تلقاه عن أجيال سابقة ثم بظروف البيئة الموجود فيها، وحاجة تلك البيئة التي تنير ذلك التراث وتطوره بطريقة تناسب وحاجة المجتمع إلى ذلك"[3].

وفضلا عن اهتمامهم بمجالات اللغة والفلسفة والعلم والتربية والسياسة فقد اهتم بالطب بصفة خاصة حيث دفعه اعتلال صحته منذ طفولته إلى مثل هذا النوع من الدراسة في محاولة للحفاظ على حياته، وقد شجعته صداقته بالطبيب توماس سيدنهام

---

[1] وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 59.

[2] فاروق عبد المعطي، جون لوك، من الفلاسفة الانجليز إلى العصر الحديث، مرجع سابق، ص 26.
فاروق عبد المعطي، جون لوك، من الفلاسفة الانجليز إلى العصر الحديث، مرجع سابق، ص 23.

[3] عزمي إسلام، جون لوك، مرجع سابق ص 32.

على هذه الدراسة وكان الأخير ممن يرفضون الأسلوب التقليدي في ممارسة الطب وينادي بالاعتماد على الملاحظة في ممارسة الطب، وقد أثر على لوك في صياغته لفلسفته التجريبية"[1].

كما أن لوك كان منشغلا ومهتما بمجالات عدة كالجانب اللغوي والمحاماة بالإضافة إلى المجال الفلسفي والسياسي والعلمي، وهذا إنما كان نتيجة تأثره بعلماء وأطباء عصره وانخرط في ممارسة التجريب العلمي والتشريح والطب وانخراطه في مجال الطب كفيل بأن نتيقن بأن جون لوك عرف بالطبيب.

بالإضافة إلى أن تأثر لوك خاصة قيما تعلق بفلسفته الحسية ومذهبه التجريبي فهو يرى أنه ليس هناك تصور في ذهن الإنسان ما لم يكن كله أو جزء منه قد تم الحصول عليه بواسطة أعضاء الحس.

"ولقد مهد كل من فرنسيس بيكون وتوماس هوبز بما قدماه من أفكار وما تركاه من كتب الطريق أمام جون لوك لكي يضع بصمته على تاريخ الفكر الفلسفي الحديث وحتى اليوم إما بالاتفاق أو الاختلاف معه"[2].

ولقد تأثر لوك أيضا بالاكتشافات العلمية التي كانت سائدة في عصره آنذاك واستفاد منها، وكان ذلك مع ظهور العلم الحديث والذي ضم الفلسفة المادية لأن العلم في ذلك العصر تمثلت موضوعاته بمعالجة الموجودات المادية الخارجية المرتبطة بالأشياء والقوانين الرياضية الذي لا يتأثر بطبيعة الفرد وإدراكاتهم بحيث اعتبرت هاته الفلسفة أن

[1] رواية عبد المنعم عباس، جون لوك، إمام الفلسفة التجريبية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1996، ص 21.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، مصر، دط، 2001، ص 252.

الإنسان كيان مادي فهو خاضع لقوانين الطبيعة[1]، إلا أن هذا لا يعني تأثره بدرجة كبيرة بل على العكس نجد لوك يتعارض معهم في بعض من أفكاره الرئيسية في الفلسفة.

"وتلقى عن العلم الحديث وخاصة عن جاليلو ونيوتن التفرقة بين الظواهر كما في الأشياء الخارجة عن الإنسان (أي الإدراك الحسي عنها) أي التفرقة بين صفات في الأشياء، تكون جزءا من طبيعتها أي أولية، وبين صفات تحسها ولست جزءا من طبيعتها أي غرضا أو ثانوية الأولي كالحجم والشكل، والثانية كالألوان والطعوم والروائح"[2].

وطبق جون لوك في فلسفته ما تأثر به عن جاليلو ونيوتن، خاصة فيما تعلق بالتفرقة بين الظواهر الموجودة في الأشياء الخارجة عن الإنسان والتي تقع في إدراك الإنسان حيث ميز بين نوعين من الصفات، الصفات الأولية، والصفات الثانوية، ورأى لوك أن الصفات الأولية هي التي لا يمكن فصلها عن الجسم فهي صفات جوهرية مرتبطة بالشيء ذاته، مثل الشكل والصلابة، في حين أن الصفات الثانوية هي التي تمثل بطبيعة المدرك لهذا الشيء، فيما يراه شخص مثلا ليس نفسه ما يراه الآخر، فما أراه أحمر يراه غيري أزرق، والشيء الدافئ سيكون ساخنا بالنسبة ليد باردة، وباردا بالنسبة ليد ساخنة، فالصفات الثانوية هي التي تتأثر بإدراكنا، وهذا ما طبقه لوك في فلسفته متأثرا في ذلك بالفلسفة المادية التجريبية لغاليلو ونيوتن.[3]

"وإن كان هذا التقسيم للفات التي تتصف بها الأشياء صحيحا كما يقول العلم عند نيوتن وبويل فإن هذا سيتتبع السؤال عن الذات المدركة وعلاقتها بتلك الأشياء المادية التي تدركها أي عن العلاقة بين الإنسان والطبيعة"[4].

---

[1] عزمي إسلام، جون لوك، مرجع سابق ص27.

[2] فاروق عبد المعطي، جون لوك، من الفلاسفة الانجليز في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 26.

[3] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 1982، ص 17.

[4] عزمي إسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص 29.

وقد أكد لوك أن الإنسان ليس مادة فقط، فالإنسان عقل ومادة لأن العقل هو من تحول الإحساسات المادية إلى أفكار، وهو بهذا تخالف مادية نيوتن وبويل.

"وقد أجاب لوك عن هذا التساؤل بأن الصفات الثانوية ليست موجودة في الأشياء بل هي نتيجة لصفاتها الأولية، وهي في الواقع مجرد إحساسات كالألوان والطعوم والروائح، وتنتج عن تأثر الإنسان بالمؤثرات المادية وعلى ذلك فطبيعة الذات المدركة لا تمكن أن تكون هي أيضا مادية فقط، أي لا يمكن تفسير طبيعة الإنسان على أنه كومة من الذرات المادية التي فسر بها نيوتن وبويل الطبيعة المادية"[1].

فالطبيعة المادية غير قادرة على فهم وتفسير الظواهر والوقائع الخارجية الإنسانية، ولهذا كان من الضروري وجود نظريات أخرى غير الطبيعية لفهم سلوكات الإنسان وتأثيراته، ومن خلال هذا نادى لوك بطبيعة أخرى منفصلة عن تلك المادية، فجون لوك أقر بمصدر طبيعة الإحساس في تكوين الأفكار والمعارف لفهم طبيعة الإنسان، ولكنه في المقابل لا ينفي العقل الجانب الخفي والذي يقوم بعملية التقدير وخاصة في الحصول على المعرفة الحقيقية، فالمعرفة عنده أولا تعتمد على الخبرة والتجربة الحسية وعلى الحواس والانطباعات المتولدة عن الحواس، وإنما تنتقل إلى الذهن الذي اعتبره لوك بمثابة صفحة بيضاء. فهاته الانطباعات الخارجية هي من تنقل إلى التجربة الداخلية والتي تعتمد على الوظائف العقلية كالتفكير والتخيل، وهنا يقوم العقل بربط هذه الإحساسات لتكون منها إدراكا وتصل من خلالها إلى بلوغ المعرفة التقنية.

"فكذلك طبيعة الإنسان ليست عبارة عن إحساس فقط بل هي أكثر من ذلك لأن مجرد انطباع الإحساسات في الإنسان لا يعني فهمها"[2].

[1] نفسه، الصفحة نفسها.

[2] عزمي إسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص 30.

ويؤكد لوك أن طبيعة الإنسان البشرية تتكون من روح ومادة فالإنسان عبارة كل يتكون من أجزاء، هي النفس والروح والعقل، فطبيعة الإنسان ليست عبارة عن انطباعات حسية مادية خارجية، فقط بل يضاف إليها عنصر العقل باعتبار العقل ملكة تميز الإنسان من خلالها عن بقية الكائنات الأخرى، وأكد على ضرورة العلاقة الترابطية القائمة بين التفكير والإحساس، فعملية التفكير لا تتم إلا بالاعتماد عن الإحساس والكثير من الأفكار والأشياء التي من تتلقاها من الواقع ويدركها العقل، هي نتاج لما أخذناه من معلومات عن طريق الحواس.

"إذ أن هناك فرقا كبيرا بين الإحساس وبين الإدراك الحسي، والإنسان يتميز عن غيره من بقية الكائنات الحساسة بأنه يدرك معنى هذه الإحساسات وذلك عن طريق العقل، وهذا العقل في نظر لوك عنصر أولي بسيط التكوين لا يتجزأ أولا يتحلل كما هو الشأن في الشيء المادي، ولهذا استحال فساده وتحلله بعد الموت، إنه صوت الله في الإنسان"[1].

"يقول لوك: لا يمكننا تصور أن تقوم فكرة العرض أو الصفة بذاتها، فذلك منافر لتصوراتنا الأولية عن الأشياء ولذلك ففكرة الجوهر كشيء تقوم فيه تلك الأعراض أو الصفات فكرة طبيعية في عقولنا على الرغم من أننا لا نستطيع أن نقول حكما واضحا متميزا عن تلك الفكرة"[2].

حيث كان لهذا العنصر العقلي أهمية كبرى في فلسفة لوك وخاصة في المجال الديني والسياسي، فأفكار الإنسان وأحكامه ومضامين المعرفة الإنسانية وموضوعاتها تأخذ مدلولات ومفاهيم ومعاني عقلية وهذا بغية فهم الحقائق والوصول إليها، وأن العقل وحده

[1] فاروق عبد المعطي، جون لوك، من الفلاسفة الانجليز إلى العصر الحديث، مرجع سابق، ص 29.
[2] محمود فهمي زيدان، في النفس والجسد، بحث في الفلسفة المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، 1980، ص 82.

قادر على التأمل والتعقل، وبنور هذا العقل يهتدي الإنسان ويدرك ما هو معرفة ويقين وما هو رذيلة وخطأ.

"ولقد طبق لوك فكرته هذه في مجال الدين قائلا: إن العقل هو الذي يهدي الإنسان إذا ما استوحاه وأنصت إليه في إملاء عقيدته، فيذكر لوك في رسالته عن التسامح أن الطريق الضيق الذي لا طريق سواه والذي يؤدي إلى السماء لا يعرفه القاضي، وأنا مطمئن هاديا يهديني لأنه قد يكون على جهل بالطريق مثل جهلي، واليقين هو أنه أقل اهتماما بنجاتي مني بنجاة نفسي"[1].

ويواصل لوك في رسالته عن التسامح بقوله: "بينما إرادة الخير هي سلطة البشر الوحيدة، وأن كل إنسان مكلف بأن ينبه وينصح ويقنع الآخرين بخطئهم وأن يقودهم إلى الحقيقة بالعقل"[2].

كما دعا جون لوك إلى دراسة العقل البشري باعتباره يحتل مكانة قصوى في إدراك المعارف الحسية، فطبيعة الإنسان إنما تكمن في قوى النفس البشرية المرتبطة بوظائف العقل والمتعلقة بالتفكير والإدراك والتخيل والتذكير، وأن الهدف الأساسي من وجود العقل هو معرفة الإنسان ما ينفعه وما يضره، وكيف يحصل الإنسان الخير الأعلى ويدفع عن نفسه الشر لأن العقل هو الملكة التي تميز بين ما هو خير وما هو شر، وكذلك يسعى الفرد دائم عن طريق هذا العقل إلى بلوغ الخير الأسمى، وتحقيق الخير دائما وكما تم الذكر سابقا فإن لوك قد طبق فكرة العقل في مجال الدين خاصة في مقالته رسالة في التسامح في مواجهة التعصب الديني، ومن خلال مسلمته هذه انتقل إلى السياسة، وركز على الحرية الفردية المرتبطة بشؤون الدولة، فالأفراد إنما متساوون أمام القانون وعلى

[1] فاروق عبد المعطي، جون لوك، من الفلاسفة الانجليز إلى العصر الحديث، مرجع سابق، ص 29.
[2] جون لوك رسالة في التسامح، ترجمة منى أبو سنة، تقديم ومراجعة مراد وهبة، دار المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، مصر، ط1، 1997، ص 52.

الدولة الاعتراف بجميع مواطنيها بمعاملة واحدة، وبذلك نادى لوك بتحقيق الحرية السياسية وقبول العنصر العقلي بين جميع المواطنين.[1]

"ولقد طبق لوك فكرته على هذه السياسة متخذا فكرة الفردية أساسا لفكرة الحرية، لأن كل فلسفة تنادي بالفرد تقتضي الحرية فيقول: إن القانون المدني مسنده الوحيد هو قبول العنصر العقلي في الإنسان، ولما كان كل عنصر عقلي منفرد مستقلا عن زميله كانت أغلبية الآراء هنا هي السند الذي يستند إليه القانون المدني، وهكذا يقوم المجتمع بموافقة جميع أفراده إذ ليس الفرد الواحد حجة على زميله"[2].

كانت هذه أهم المصادر التي استقى منها جون لوك أفكاره، ويؤخذ عليه اعتماده بشكل كبير على تلك المصادر التي سادت في عصره من مناهج علمية وفلاسفة عاصروه تأثر بهم، انتقدهم ثم بنى على أفكارهم وطورها في نظريات وفلسفات كانت هي الأخرى حاملات لإنجازات جديدة هزت كيان المجتمع الأوروبي، إلا أنها أفكار مازالت موضع جدل ونقاش إلى يومنا هذا.

[1] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الحديث، مرجع سابق، ص22.

[2] عزمي إسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص 30.

المبحث الثاني: ماهية الطبيعة الإنسانية عند جون لوك

تعتبر إشكالية طبيعة الإنسان الفطرية من بين أهم المشكلات التي ثار حولها جدل كبير بين المفكرين والفلاسفة منذ الحقبة اليونانية وصولا إلى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ونجد من أبرزهم الفيلسوف الإنجليزي جون لوك، خاصة فيما تعلق بالتساؤل حول هاته الطبيعة البشرية، وهل خيرة أم شريرة؟ وهل تتدخل في هاته الطبيعة البشرية أوامر وإصدارات عقلية؟ أم غرائز وانفعالات نفسية؟

"فإذا ما سألنا حسب لوك ما هي طبيعة الإنسان؟ نعم إنه سؤال لا يهم علم الطبيعة بل يهم علم النفس والفيلسوف"[1].

"فالانطباع الأول عن حالة الطبيعة عند لوك هو انطباع عن أشخاص يعيشون معا في سلام وود في العصور الأولى للبشرية قبل ظهور المجتمع المدني، يستمتعون بالحرية الطبيعية والمساواة في مناخ السلام والإرادة الخيرة"[2].

ولقد كان لوك يرى أن طبيعة البشر الفطرية السابقة طيبة وخيرة لأنها تسير وفق القانون الطبيعي الإلاهي، فطبيعة البشر إنما تحمل في داخلها بذور الخير، ولم تكن في حالة فوضى واضطراب كما رأى توماس هوبز، بل كانت تحيا حياة سعيدة، وهذا في ظل قانون طبيعي مستوحى من الإلهام الإلاهي أولا، والعقل البشري ثانيا، فكان البشر يحكمهم القانون الطبيعي، لذا فإن طبيعة الإنسان الأول تميزت بالخير والسلام ومحبة الآخر وهذا نتيجة غرائزهم الفطرية الخيرة، واستعداداتهم لفعل الخير مع غيرهم من البشر.

[1] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سابق، ص 18.

[2] ليو شتراوس، جوزيف كروسي، تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدغر، ترجمة محمود سيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005.

"ونجد أقرب شيء لتعريف حالة الطبيعة عند لوك هو أن يعيش الناس معا وفق العقل دون سيد أعلى على الأرض، ومع سلطة تقضي بينهم هذه في الحقيقة هي حالة الطبيعة"[1].

ويتبين لنا حسب لوك أن السعادة التي كان يعيشها الأفراد في الحالة الطبيعية الأولى خيرة في ظل قانون طبيعي زرعه الله فينا ليجر بنا إلى فعل الخير، وتجنب الشر، "فحالة الطبيعة تمثل حالة الحرية الكاملة التي يتعين على الأفراد فيها أن ينظموا أفعالهم ويتصرفوا في أملاكهم وذويهم بالطريقة التي يرونها مناسبة في إطار ما يربطهم بقانون الطبيعة وبدون استئذان أو الاعتماد على إرادة أي شخص آخر"[2].

واعتقد لوك أن أفضل طريقة للعيش في سعادة تامة هي أن يحيا الإنسان وفق محبة الخير والصلح مع النفس ومع الآخر، فالإنسان إنما يعيش مع الآخر تحت مظلة المساواة والتكافل، لهذا فالبشر متساوون بالطبيعة والعيش مع بعضهم البعض بطريقة أخلاقية يغيب فيها الاعتداد والشر وحب السيطرة والأنانية "وبالنسبة لحال الطبيعة فإن لوك كان أقل أصولية من هوبز الذي اعتقد أن تلك الحال سيتم، بحرب الجميع ضد الجميع، وما ذهب إليه لوك أن حال الطبيعة كانت حالا سعيدة"[3].

---

[1] برانتد راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 200.

[2] ستيفن ديليو، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، ترجمة ربيع وهبة، مكتبة الاسكندرية، مصر، دط، 2000، ص 197.

القانون الطبيعي: كلمة القانون في الفرنسية LOI وفي الانجليزية LAW، وفي اللاتينية LEX، والقانون هو النظام والشريعة والأصل، وله في اصطلاح الحكماء عدة معن منها: أن القانون مجموع القواعد العامة المفروضة على الإنسان من الخارج لتنظيم شؤون حياته، وإذا كانت هذه القواعد مفروضة عليه. تشريع صريح تضعه السلطات الاجتماعية لوجه المصلحة العامة سميت بالقوانين الوضعية (Lois positives) فهي بمعنى ما هي قابلة للقوانين الأخلاقية الطبيعية المكتوبة على صفحات القلب.

وإذا كانت معبرة عن إرادة الله وحكمته سميت بالقوانين الإلاهية، ولا بد في هذه القوانين من أن تكون إلزامية سواء أصدرت عن إرادة الشعب أم فرضت عليه من فوق. (1)

(1) جميل صيليا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 180.

ويؤكد لوك أن الطبيعة البشرية للأفراد كانت خيرة وطيبة، وكان جميعهم أحرارا ومتحدين فيما بينهم يساعد أحدهم الآخر دون النظر إلى الأنانية الشخصية، فكاد الفرد محبا للخير ومسالما، لذ فإن طبيعته الإنسانية خالية من الفوضى والصراعات والعيش ضمن حياة طيبة كريمة تتميز بالحرية والمساواة بين جميع البشر في الحقوق والممتلكات.

"وقد قرر لوك أن الإنسان خير بطبيعته، وأنه متى كان حرا تصرف في حدود الخير الخاص والعام، غير أن ذلك لا يعني أن طبيعة الإنسان لا يتخللها الشر أو النزوع إلى البغي، فحالة الطبيعة كما صورها لوك هي حالة وسط بين التصور المفرط في التشاؤم الذي قدمه هوبنز، وبين التصور الحالم المثالي الذي قدمه روسو الذي أشار إلى طبيعة الإنسان الأول هي طبيعة البراءة الكاملة والخير المطلق، وبافتراض فإن حالة الطبيعة الإنسانية هي حالة خيرة يشوبها بعض النقص والقصور، ولكنها في العموم قابلة للتحسين والسير بها في مدارج الكمال"[1].

وافترض لوك حالة طبيعية* بين البشر، فهي التي تنظم حياتهم من خلال القوانين المستمدة من الله، فلا وجود لوسيط حاكم أو قاض يصدر قوانين ويسنها لهم، فالقانون الطبيعي هو علاقة بين الله والإنسان، وهو ما جعل طبيعة الأنفس خيرة وطيبة وحرة، وهو ما يؤدي إلى تجسيد المساواة بين الناس جميعا، واعتقد لوك أن الطبيعة البشرية إنما تتميز بالعقل والتسامح، حيث كان الناس مستقلين في ممتلكاتهم إلا أنهم متساوين فيها،

*__حالة الطبيعة:__ هي مفهوم يستخدم في الفلسفة السياسية ونظريات العقد الاجتماعي والقانون الدولي للدلالة على الظروف الافتراضية لما كانت حياة الناس عليه قبل أن تصبح المجتمعات موجودة، ويستنتج فلاسفة دولة الطبيعة أنه يجب أن يكون هناك وقت قبل وجود المجتمعات المنظمة. (2)

(2)أنظر: http ://www. anfasse.wekipedia.org

[1] محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص 166.

وكان لكل فرد حقه الطبيعي، ومثال ذلك الحق في الحياة، الحق في الحرية، الحق في الملكية.[1]

يقول لوك: "أن هذا الطور الطبيعي إنما هو طور من الحرية، فالإنسان في هذه الطور يتمتع بحرية التصرف بشخصه وممتلكاته، فالطور الطبيعي سنة طبيعية يخضع لها الجميع، والعقل هو تلك السنة، يعلم البشر جميعا لو استشاروه إنهم جميعا متساوون وأحرار، فينبغي أن لا يوقع أحد منهم ضررا بحياة صاحبه أو صحته، أو ممتلكاته، أو حريته لأن خالق البشر كافة صانع واحد قدير على كل شيء"[2].

ويتبين من خلال هذا أنه في الحالة الطبيعية الأولى والتي أكد عليها لوك أن كل فرد من واجبه المحافظة على ممتلكاته، وفي الوقت نفسه المحافظة على ممتلكات الآخرين، كما أنه من غير الأخلاقي ومن غير العدل أن يتعدى أي فرد على ممتلكات الآخرين، ففي هاته الحالة وجب معاقبة هذا المعتدي لأنه حسبه خالق قانون الطبيعة القائم على حب الخير والسلام للآخرين فعلى الفرد أن يكتب في ممتلكاته الخاصة فقط، وأن لا يأخذ الفرد من مصادر أكثر مما يصرفه لنفسه، وفي حال أخذ شخص ما أكثر مما يحتاج إليه يعتبر تعد على الآخرين وعلى القانون الطبيعي، وبهذا يكن الفرد سبب في فتح الباب أمام الحرب وطغيان الأنانية وحب المصلحة.[3]

"إن حالة الطبيعة يحكمها قانون الطبيعة وهو يضطر كل واحد ألا يضر الآخر في حياته وصحته وحريته وممتلكاته، لأن الناس جميعا من صنع القادر وهو جميعا رعية حاكم واحد فكل واحد يعمل على حفظ نفسه ولا يتنازل عن حقوقه، وعليه أيضا أن يحافظ

---

[1] أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، 1995، ص 66.

[2] جون لوك، الحكم المدني، ترجمة ماجد فخري، دار الطليعة، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، د ط، 1953، ص 140.

[3] محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص 167.

على الآخرين ولا يضر بحياة غيره وتنفيذ قانون الطبيعة يرجع إلى كل واحد، وعليه أن يعاقب من يعتدي على هذا القانون إلى حد منعه من الاعتداء عليه، وذلك لأن قانون الطبيعة يقضي بالسلام وبصيانة البشر"[1].

كما أقر لوك أن كل الممتلكات الموجودة على الأرض في حالة الطبيعة هي عامة ومباحة للجميع على السواء، ولا يجوز لأحد أن يتعدى على ملك الآخر، وبهذا يكون محافظا لذاته ووجوده وفق قانون الطبيعة، لذا فإن المساواة المطلقة والعدالة إنما تقتضي احترام الطبيعة البشرية في أقدارها الملازمة لكينونتها البشرية التي تضمنها القوانين الطبيعية، حيث يقول لوك: "إن للطبيعة قوانينها التي يخضع لها كل إنسان، فالجميع متساوون مستقلون، ومن أجل هذا يجتمعون ويتقاسمون ما تمنحه لهم الطبيعة، لذا تختفي نظام التبعية التي تدفع بعضهم إلى الرغبة في السيطرة على الآخرين والإضرار بهم، ولا يبقى في القلوب سوى حب الخير، وكما يتوخى المرء المحافظة على كيانه، فإنه لا بد أن يحافظ على كيان الآخرين وعلى حياتهم وعلى مصالحهم الخاصة، ويجب أن يمتنع الناس على التعدي على حقوق الآخرين والإضرار بهم، وعليهم أن يراعوا قانون الطبيعة الذي يهدف إلى السلام، ويحافظ على الجنس البشري"[2]

"ويؤكد جون لوك أن القانون الطبيعي سابق لنشأة القانون والمدني، وأن تجسيد العدالة والمساواة تقتضي احترام قوانين الطبيعة البشرية، ولما كان الإنسان قد ولد وله كامل الحق في الحرية والتمتع بلا قيود بجميع حقوقه (تلك الحقوق التي يتمتع بها الفرد منذ أن يولد) وذلك على قدر من المساواة مع الأشخاص جميعا، فإن له بالطبيعة الحق في المحافظة على حياته وحريته وممتلكاته من اعتداء الآخرين ومحاكمتهم على خرق هذا

[1] أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، مرجع سابق، ص 67.

[2] جون لوك، الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو، ترجمة شوقي الكيال، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، دس، ص 15، 16.

القانون الطبيعي، وأن أي شخص يحاول التعدي على الآخر وجب محاسبته، وفي هاته الحالة يتحقق العدل الطبيعي وتسود القوانين الأخلاقية"[1].

"ومقياس السلوك من حيث النقص والكمال هو مقدار مطابقته للقانون الأخلاقي الذي يفرض نفسه على عقولنا فرضا لأنه مقرر بإرادة الله، فهو يعتقد أن القواعد الأخلاقية ليست من وضع الجماعة السياسية بل تهبط على البشر، ولو أنه في الوقت نفسه ينكر أن تكون هذه المبادئ الأخلاقية مفطورة في العقل الإنساني منذ ولادته، بل إنه ليدركها بالتجربة مع يقينه أنها قانون الله وليس من وضع البشر"[2].

هذا وتتركز نظرة جون إلى الطبيعة البشرية من جانبين، أما الجانب الأول فهو جانب نفسي عقلي يتميز به الإنسان من خلال الإدراك والتفكير والذكاء والتخيل أما الأشياء التي يدركها ويتخيلها فإنما يدركها من البيئة الطبيعية المحيطة به، أي من خارج النفس الإنسانية، فهو مكون من جانبين نفسي غريزي عقلي، ويملأ بمادة غير نفسه أي من طبائع خارجية، فالطبيعة البشرية حسبه هي نتاج تفاعل نفسي يضاف إليه عناصر خارجية، فالطبيعة البشرية خالية من الشر، فالفرد يولد بطبيعة خيرة وطيبة إلا أن الطبيعة الخارجية للفرد والبيئة المحيطة به هي المحدد الأساسي للطبيعة الشريرة، فالإنسان إنما مفطور من الله بطبيعة خيرة قائمة على مبادئ أخلاقية طيبة تكون أساس عيشه في عدالة مطلقة، وسعادة دائمة.

"واهتم لوك بأسباب السعادة الإنسانية وحصرها في خمسة أسباب هي: الصحة، السمعة الطيبة، والمعرفة وفعل الخيرات والأمل الذي يتوقع منه الإنسان سعادة أبدية وإن كانت مبهمة بالنسبة إليه، وأما ما يسبب للإنسان سعادة أبدية وإن كانت مبهمة بالنسبة إليه، وأما ما يسبب للإنسان السعادة الروحية التي توحي له بنيل السعادة فهي الخضوع التام

[1] جون لوك، الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو، مرجع سابق، ص 19.

[2] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 218.

لما يمليه على العقل من طاعة القانون الإلاهي الذي وضعه الله للإنسان حتى قبل أن يوجد على الأرض"[1].

وقبل الوصول إلى المجتمع السياسي يبدأ لوك حديثه عن حالة الطبيعة البشرية الأولى حيث كان الناس يعيشون تحت كنف القانون الطبيعي والعدالة الطبيعية بما في ذلك استخدام للعقل في معرفة طبيعة الإنسان الشخصية والاجتماعية، وإلى قواعد ملزمة للسلوكات الأخلاقية باعتبار أن قانون الطبيعة يتقرر بالطبيعة.

"إن إرادة الله هي الأساس الراسخ للأخلاق، وهذا الموقف هو ما يتقيد به لوك دائما، لقد وضع الله تعالى قانونه من قبل للإنسان، وأن الحياة الأخلاقية تتمثل في طاعة ذلك القانون بل وأن في طاعة أوامر الله ما يتفق مع طبيعتنا البشرية"[2].

---

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، مرجع سابق، ص 287.

[2] نفسه ، ص 288.

***المجتمع المدني:**

أ) المعنى اللغوي: مَدَنَ بالمكان أقام به، مَدَنيٌّ اسم منسوب إلى مدنية خاص بالمواطن أو بمجموع المواطنين.

– الحقوق المدنية: هي الحقوق التي يخولها القانون لجميع المقيمين في الدولة، وهي أشمل من الحقوق السياسية المتصلة باختيار الحاكم، كما أنها تتميز عن الحقوق الطبيعية في أن لها قيمة قانونية إلى جانب قيمتها الفلسفية المثالية.

– القانون المدني: قانون الأحوال الخاضعة لتطور حياة المجتمع العصرية.

ب) المعنى الاصطلاحي: المجتمع المدني أي المجتمع الذي تكونت مؤساساته وجمعياته الحضرية.

– المجتمع المدني: مؤسسات المجتمع المستقلة عن سلطة الدولة التي تقوم العلاقات بينها على أساس رابطة اختيارية طوعية مثل النقابات والأحزاب والجمعيات الأهلية ومنظمات حقوق الإنسان.

وإذا ذهبنا إلى الدلالات الأخرى الأكثر خصوصية نجد أن مفهوم المجتمع المدني يعد في النظرية السياسية هو المجتمع الذي تشكل بناء على العقد الاجتماعي باعتباره اتجاها متمايزا عن الدولة أو منظومة تقابل منظومة الدولة(1).

(1) محمد كيشانه، المجتمع المدني، أسسه المفهومية والإصلاحية واختباراته التاريخية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، ط1، 2017، ص 15، 16.

ومنه فإن جون لوك أقر بالقانون الطبيعي، وهو القانون الأسمى من تلك القوانين الوضعية، إلا أنه أكد على الانتقال للقوانين المدنية عن طريق عقد اجتماعي بموجب اتفاق بين كافة الأطراف، وهذا بغية تنظيم المجتمع والحفاظ على الممتلكات الخاصة والعامة، والوصول إلى مجتمع أكثر أمانا من ذلك الذي ساد في الحالة الطبيعية بهدف الحفاظ على الحقوق واحترام الممتلكات، وضبط النفس على منع إيذاء الآخرين والتعدي على ممتلكاتهم، ولذا كان من الضروري حسب لوك خلق مجتمع مدني يكفل حقوق وحريات البشر، ويحقق الاستقرار الأمثل لحياتهم.[1]

[1] محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية ص 167.

المبحث الثالث: الانتقال من الحالة الطبيعية إلى المجتمع السياسي عند جون لوك

يؤكد جون لوك أنه طالما انتقل البشر من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية وجب على الأفراد الخضوع للقوانين الوضعية التي سنها الإنسان، والتي بدورها حقوق وحريات البشر، وقد توصل إلى مسلمة مفادها أن البشر يجب أن يجمعوا على قانون عقلي جماعي، ولذا ينبغي على كل فرد القبول به واحترامه، وهذا يعني أن الناس في حالة الطبيعة الأولى قد عاشوا في حالة من الطبيعة الفطرية التي جبلوا عليها دون الخضوع إلى السلطة والقانون السياسي وقيام الدولة والسلطات، فالبشر أرادوا أن ينتقلوا من هاته الطبيعة الخيرة إلى حال أفضل منها فاجتمعوا وأبرموا عقدا فيما بينهم لحماية وحفظ ممتلكاتهم ومصالحهم الخاصة عن طريق ما يعرف بالمجتمع السياسي المدني ومن الموجب هنا أن نتساءل: "كيف يتم الانتقال من الطور الطبيعي إلى الطور السياسي وفيم يمثل؟ وإذا ذهبنا إلى الدلالات الأخرى الأكثر خصوصية نجد أن مفهوم المجتمع المدني يعد في النظرية السياسية هو المجتمع الذي يتشكل بناء على العقد الاجتماعي باعتباره اتجاها متمايزا عن الدولة، أو منظومة تقابل الدولة"[1].

ولقد عرف لوك المجتمع المدني على أنه:" هو المجتمع المنظم سياسيا ضمن إطار الدولة مهمته تنظيم عملية سن القانون الطبيعي الموجود دون الدولة وفوقها"[2].

وإذا استخدمنا نفس ألفاظ تعريف حالة الطبيعة حسب تعبير لوك فأنها تستمد تعريفها من نقيضها يكون كالتالي: "هو حالة من الناس يعيشون معا مع وجود رئيس عام

[1] محمد كيشانه، المجتمع المدني، أسسه المفهومية والإصلاحية واختباراته التاريخية، مرجع سابق، ص 20.

[2] المرجع نفسه، ص 21.

على الأرض ذي سلطة للحكم بينهم، وبمعنى آخر نقيض حالة الطبيعة هو المجتمع المدني"[1].

ولقد كان من أهم أسباب قيام المجتمع المدني عند لوك هو الحفاظ على ملكية الأشخاص وذلك من خلال انتقال الأفراد من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية لأن طبيعة البشر مهما كانت خيرة وطيبة إلا أنها تصدر عنها العديد من طبائع البشر المتمكنة في الأنانية والشر والعدوان وبهذا تصور لوك أنه من الواجب ومن الضروري وجود تعاقد اجتماعي بين الأفراد وهو ما نتج عنه نشأة الدولة، وسن القوانين المدنية والتخلي عن عقيدة الحالة الطبيعية، يقول لوك: "كل حكم لا غاية له سوى الحفاظ على الملكية، وما يفتقده الناس في حالة الطبيعة هو القوانين والقضاة والسلطة المنفذة وهذا هو ما يأتيهم به الحكم المدني، فالسلطة السياسية هي إذن هي عبارة عن وديعة يأتمن بها ملاكون سياسيين، والحاكمون هم إداريون في خدمة الجماعة، وتقوم مهمتهم على توفير الرفاه والازدهار"[2].

ولما تعاهدوا الأشخاص في المجتمع، وبعد أن وافقوا على أن يبرموا عقدا اجتماعيا كان من واجبهم أن يقبلوا بإرادة المجموع والتعاشر ضمن الجماعة تحت كنف الحماية والسلام أي الاعتراف بالحقوق الفردية وحماية الملكية الخاصة من جهة والحرص واحترام لملكية الأشخاص الآخرين من جهة أخرى، وذلك لأجل الوصول إلى المساواة المطلقة وتحقيق العدالة القانونية، ومن أجل هذا هو ما أدى حسب لوك بدخول الأشخاص في مجتمع منظم سياسيا وهو أكثر أمنا وسلاما من الحالة الطبيعية الأولى وعندما ينتقل الأفراد من الحالة السياسية عبر العقد الاجتماعي من خلال تشكيل المجتمع المدني وما

[1] ليو شتراوس، جوزيف كروسي، تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدغر، مرجع سابق، ص 12.

[2] جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، ترجمة ناجي الدراوشة، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010، الجزء الثاني، ص 508.

يحمل مضمونه هو أنه من واجبه أن يحمي تلك الممتلكات، وفي الوقت نفسه أن للأفراد حقوقا لا يمكن انتهاكها والتدخل فيها من طرف أي سلطة سياسية أو حاكم مدني، إلا أن لوك يقر بالانسجام والتداخل والتكامل بين الطبيعة البشرية، وبين المجتمع السياسي.[1]

"ولقد تميزت نظرة جون لوك للمجتمع المدني خاصة، وأن الظروف التي أحاطت به جعلته يتخذ المجتمع المدني نقطة ارتكاز للقضاء على العديد من الإشكاليات السياسية، فالمجتمع المدني عند لوك إنما كان هدفه الرئيسي يكمن في معالجة انحصار السلطة في فرد واحد أو مجموعة من الأفراد الذين لا هم لهم إلا إشباع رغباتهم وشهواتهم نحو التسلط والسيطرة والاستبداد والعمل على نقلها إلى يد الشعب بحيث تتحول من كونها سلطة خاصة في يد حكم فرد أو طائفة كنسية إلى سلطة عامة تكون منها الكلمة للشعب"[2].

ومن خلال هذا يتضح الدف من مدى الدولة والسلطة من وجهة نظر لوك، وذلك بالانتقال إلى مجتمع منظم قائم على العقد الاجتماعي الذي يتشاركه الأفراد فيما بينهم أولا، وخضوع الأشخاص لسلطات مدنية تكفل حرياتهم وممتلكاتهم ثانيا، وكانا هذين العاملين من أهم الأسباب لقيام مجتمع مدني قائم على بالإضافة إلى النهوض بالحركات السياسية والاقتصادية، وتنظيم الحياة الاجتماعية الصادرة عن طبيعة البشر.

كما سعى جون لوك إلى فلسفة سياسية تحاول تغيير الوضع الاجتماعي والاقتصادي للإنسان بالإضافة إلى محاولة فهم الواقع الاجتماعي في مجتمعه آنذاك من خلال تركيزه على الإنسان ومحاولة فهم طبيعته والعمل على تغييره إلى ما هو إيجابي، والدعوة إلى إرساء القانون وإقامة العدل بين البشر، ومحاربة الظلم والاستغلال من خلال

[1] غنار سكيريك، تلز غيلجي: تاريخ الفكر العربي، من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ترجمة حيدر جاج اسماعيل، مراجعة نجوى نصر، المنظمة الغربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012، ص 469.

[2] محمد كيشانه، المجتمع المدني، أسسه المفهومية والإصلاحية واختباراته التاريخية، مرجع سابق، ص 57.

الدعوة إلى المساواة بين الأفراد وعدم التمييز بينهم بإيجاد صيغ قانونية عادلة كونهم من طبيعة واحدة، وهذا يقتضي محاربة الاستبداد بين السلطة والمواطنين والقضاء على التملك والجشع ومحاربة الأنظمة السياسية الفاسدة، ولذا شجع على الحقوق والحريات من خلال الدعوة إلى التسامح وتشكيل حكومات فيما بينهم ليتمتعوا بما يملكونه من ممتلكات خاصة تحت ظل القانون المدني[1].

"وكانت دعوته هذه قائمة على أساس التسامح، والتي أعلن ليها في رسائله المختلفة ونادى بضرورة ألا تضطهد الكنيسة أي إنسان بسبب عقيدته، لأن الحرية مكفولة للجميع فضلا عن ضرورة تجنب التحيز لجماعة دينية دون أخرى، لأنه من الضروري أن تعمل الدولة والكنيسة من أجل سعادة المواطنين"[2].

وخلاصة القول في هذا الفصل أن جون لوك ومن خلال ما تطرق إليه حول إشكالية الطبيعة البشرية، أكد أن البشر خلقوا من طبيعة فطرية واحدة يملؤها الخير والمحبة والسلام، وبفضل ملكة العقل التي وهبها الله إليهم استطاعوا إنشاء قوانين مدنية تكف لحرياتهم وتحفظ حقوقهم، وذلك بتجسيد العدل والمساواة بين الأفراد خاصة فيما تعلق بفكرة التسامح وحية المعتقد بالإضافة إلى أفكاره المعرفية والسياسية، وكان لفلسفة لوك آثارا قيمة شكلت أساس الفكر الأوروبي المستنير في القرن الثامن عشر، وهو ما نتعرف عليه في الفصل الموالي.

---

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 154.

العقد الاجتماعي: العقد في القانون اتفاق بين شخصين أو أكثر يلتزم ك منهم بمقتضاه دفع مبلغ من المال أو أداء عمل من الأعمال لشخص آخر أو لعدة أشخاص.

والعقد الاجتماعي (Contrat sociale)، اتفاق افتراضي بين أفراد المجتمع يوجب على كل منهم وهو في الحالة الطبيعية أن يعهد في شخصه وفي كل ما لديه من قدرات إلى الإرادة العامة التي تنتظم بها حياة الكل.

جميل صيليا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 82.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، مرجع سابق، ص 286.

وعلى سبيل الخلاصة العامة، نجد أن جون لوك أسس لمفهوم علماني محض -كما نفهمه اليوم- لأنه قدم للأفراد كامل الحرية في تسيير وتقرير شؤونهم الدينية الخاصة، وبدأ مرحلة تقوم على التمييز لأنه الكامل والدقيق بين مَهامِّ السلطة الدينية والسلطة المدنية، كما أنه أقر بأن حرية الضمير هي حق طبيعي لكل إنسان .

الفصل الثالث

أثر فلسفة جون لوك في الفكر الفلسفي

المبحث الأول: أثره في الفكر السياسي

المبحث الثاني: أثره في التربية

المبحث الثالث: فلسفة جون لوك بين القبول والرفض

تمهيد:

تعتبر فلسفة جون لوك أحد أهم الفلسفات التنويرية في القرن السابع عشر وهذا نتيجة خوضه إشكاليات ذات أهمية بالغة ومنها الطبيعة البشرية والاهتمام بالنزعة الإنسانية والفلسفة السياسية التي تبلورت في دعم الحريات والحقوق الفردية ونظرية العقد الاجتماعي بالإضافة إلى تعرضه لفلسفة التربية والخوض في مجالاتها وعلومها كعلم النفس والسياسة و أيضا مجموعة من النظريات والأفكار العلمية وهو ما خلق إرث فلسفي كبير في مجتمعه وتجاوزه إلى مجتمعات أوربية كالمجتمع الأمريكي والفرنسي خاصة بعدما ساهمت أفكاره التنويرية في بلورة الثورة الفرنسية وتأسيسه للنظرية الليبرالية حيث عدت مؤلفاته الدينية والسياسية والتربوية والمعرفية أحد أهم المحطات الفكرية في عصر التنوير في الغرب خاصة بعدما ساهمت أفكاره في انهيار سلطة الدينية المطلقة وظهور حركات تحررية تدعو إلى الحرية في الدين والحرية في التعبير الحرية في الحياة وغيرها من الحريات، وإعطاء الشعب حق الشرعية في الحكم وذلك في إطار التفاعل بين الحكام والمحكومين والدعوة إلى ضمان الحقوق والحريات والعمل على تأسيس إقامة عدالة تسودها الحرية والمساواة تحت كنف القانون حيث جذبت أفكاره العظيمة فلاسفة آخرون خاصة ممن لحقو من بعده جان جاك روسو والت أثرت عليه أفكاره السياسية والتربوية بشكل كبير مما جعل هذا الأخير يتابع أعماله ويطورها بناء على سابقة لوك وقد كان تأثير هذا الفيلسوف كبيرا في أوروبا لأنه دعا من خلال أفكاره للبناء والتقدم وتنقية العقول من الخرافات التي كانت سائدة بالإضافة إلى بناء الإنسان فكريا والدعوة إلى التأمل في ذاته ووعيه ووجدانه للتعرف على مصيره في الحياة غير أن كل فيلسوف لا يقاس بعمله وتأثيراته الإيجابية فقط بل أيضا وجب أخذ الانتقادات السلبية بعين الاعتبار كون النقد بحد ذاته يعتبر فلسفة وبناء على نقد أي فيلسوف من طرف معارضيه تعتبر نقطة انطلاق فلسفة جديدة، فعلى الرغم من تأثيرات لوك العلمية والفلسفية إلا أن أطروحاته

نوقشت من طرف الفلاسفة اللاحقين له، فهل يمكن القول أن فلسفة لوك التي تجلت في إنجازاته المعرفية والسياسية والتربوية قد أثرت في الفكر الإنساني عموما وفي الفكر الغربي على الخصوص ؟ وهل ساهمت فعلا في نشأة نظرة فلسفية جديدة ؟ وهل بإمكاننا أن نقف وقفة نسائل فيها هذه الفلسفة مساءلة موضوعية فنبرز الجانب المشرق فيها ونعري الجانب المظلم منها ؟ .

المبحث الأول: أثره في الفكر الفلسفي

تعد فلسفة جون لوك من الأعمال البارزة في الفكر الغربي خاصة بعد تطرقه إلى إشكالية الطبيعة البشرية، والتي ميزت الأفراد في الحالة الطبيعية الفطرية الأولى وقبل ظهور المجتمع المنتظم، وهو ما كان له أثر وبعد سياسي في عصره آنذاك، حيث عرفت فلسفته السياسية تطورا ملحوظا في العصر الحديث، كما أنه لا تمكننا أن نفهم فلسفة جون لوك وأبعادها السياسية إلا بالعودة والتعرف عن حالة الطبيعة التي كان يعيش البشر في الطور الأول، والتي كانت حسب لوك حالة من الحرية التامة بين الأفراد والتي تمتعوا بها إبان الطور الطبيعي تحت كنف القانون الطبيعي وهو ما أكده لوك خاصة فيما تعلق بالصلة الوطيدة بين القانون الإلاهي والحرية التامة التي ينعم بها الأفراد في ذلك الوقت، يقول لوك: "ولكي تدرك طبيعة السلطة السياسية إدراكا صحيحا ونستنبطها من مصدرها الأصلي، ينبغي لنا أن نفحص عن الوضع الطبيعي الذي نجد البشر عليه، وهو وضع من الحرية التامة في القيام بأعمالهم، والتصرف بأملاكهم وبذواتهم كما يرتأون ضمن إطار سنة الطبيعة وحدها ودون أن تحتاجوا إلى إذن أحد، أو يتقيدوا بمشيئة أي إنسان"[1].

فعلى البشر أن يعيشوا حسب قانون الطبيعة، وفي الوقت نفسه يتمتعون بحقوقهم في الحرية والملكية بشرط عدم الاعتداء على حقوق الآخرين، ومراعاة قانون الطبيعة لأجل حفظ بقائهم والمحافظة على حياتهم وممتلكاتهم وضمان سلامتهم.

ولما كان الأفراد يعيشون في حالة من الحرية في الطور الطبيعي ويتمتعون بها كونها حق من حقوقهم الطبيعية، وليست هبة من ملك أو حاكم أو أي سلطة سياسية.

"من هنا قامت فلسفة لوك على أفكار الحرية والتي ترتكز على فكرة الفردية حيث نادى بتشجيع الحريات الشخصية كالحرية في المعتقد، والحرية في التعبير وهو ما كان له بعدا في الطور السياسي المرتبط بالسلطة والدولة، ذلك كون وظيفة السلطة هي تحقيق

[1] جون لوك، في الحكم المدني، مصدر سابق ص 140.

الأمن وضبط كل معتدي على حق الآخر وتأمين الحقوق الطبيعية خاصة تلك المتعلقة بالحرية والملكية، والتي كان لها صدى في ظهور الليبيرالية* في المجتمعات الغربية مع الفيلسوف.

هذه الصرخة المدوية التي أطلقها لوك في إنجلترا في القرن السابع عشر تجاوبت أصداؤها في أوروبا كلها وكان لها تأثير مباشر في نجاح الحركات التحررية والتي قامت لها الملايين لمكافحة والشعوب التي تُسخر لخدمة الاستغلال والإقطاع الاجتماعي والاقتصادي والدين، إلا أن أهمية لوك وتأثيره السياسي لم يقتصر على فرنسا أو أوروبا فقط بل تعدتها كذلك إلى أمريكا إذ أنه يعتبر مصدر التفكير السياسي الذي ساد الولايات المتحدة إبان ثورتها وهو الفيلسوف الذي أخذ عنه قادة الثورة الأمريكية أفكاره حيث وضع وثيقة الاستقلال"[1].

[1] عزمي إسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص 20.

***الليبيرالية LIBERALISME:**

أ) مذهب سياسي فلسفي يرى أن الإجماع الديني ليس شرطا ضروريا لتنظيم اجتماعي جيد ويطالب بحرية الفكر لكل المواطنين.

ب) مذهب اقتصادي يرى أن الدولة لا ينبغي لها أن تتولى وظائف صناعية، ولا وظائف تجارية وأنها لا يحق لها التدخل في العلاقات الاقتصادية التي تقوم بين الأفراد والطبقات أو الأمم، بهذا المعنى يقال غالبا ليبيرالية اقتصادية تتعارض مع الدولاتية أو حتى ينجو أعم مع الإشتراكية.

أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول من A – G، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص 726.

***الحرية (مذهب) Libéralisme:**

مذهب الحرية مذهب سياسي يقرر وجوب استقلال السطلة التشريعية والسلطة القضائية عن السلطة التنفيذية، ويعترف للمواطنين بضروب مختلفة من الضمان تحميهم من تعسف الحكومات ومذاهب الحرية بهذا المعنى نقيض مذهب الاستبداد بالسلطة.

ومذهب الحرية أيضا مذهب سياسي فلسفي يقرر أن وحدة الدين ليست ضرورية للتنظيم الاجتماعية الصالح، وأن القانون يجب أن يكفل حرية الرأي والاعتقاد.

"وقد عُني لوك بالدفاع عن الحرية* في كل أشكالها سواء على المجال السياسي أو الديني أو الفكري أو المجال الاقتصادي، بل جعل الوظيفة الأساسية للدولة هي الدفاع عن هذ الحرية، غير أن نظرته في نشأة الدولة والمجتمع السياسي تستدعي أولا النظر إلى آرائه في حالة الطبيعة أو القانون الطبيعي"[1].

فالبدايات الأولى للفكر الليبيرالي إنما بدأت مع الفيلسوف لوك خاصة بعد نشر مؤلفاته عن السلطة والحكومة المدنية والتسامح وذلك بالتأكيد على أهمية الدين في المجتمع وعدم تدخل الكنائس في أي محاولة سياسية ورفض الملكية المطلقة، ولقد استطاع هذا الفيلسوف أن يؤسس لفكرة الليبيرالية حتى انتشرت فلسفته في جل القارة الأوروبية خاصة مع الثورة الفرنسية والأمريكية والدعوة إلى إعلان الاستقلال وذلك من خلال احترام مفاهيم الحقوق الأساسية والاحتكام إلى طبيعة الإنسان العقلية التي تدعو إلى المحافظة على الحقوق الطبيعية من أجل تكريس المساواة.

"ولقد كانت نظريات لوك السياسية تلخيصا لما كان يمارس بالفعل في انجلترا في ذلك الوقت، لذلك لم يكن لنا أن نتوقع لهذه النظريات أن تحدث في انجلترا تقلبات ضخمة، أما في أمريكا وفرنسا فكان الأمر على خلاف ذلك، إذ أدت ليبيرالية لوك إلى تغييرات ضخمة وثورية، ففي أمريكا أصبحت الليبيرالية هي المثل العليا، إنها لا تراعي دائما بإخلاص،

وقد يطلق مذهب الحرية على القول بوجوب احترام استقلال الأفراد أو القول بضرورة التسامح في شؤونهم، وجملة القول أن أنصار مذهب الحرية يدعون إلى تنمية الحريات الفردية أو إلى تحديد سيطرة الدولة.

جميل صيليا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، مرجع سابق، ص 465.

[1] أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، مرجع سابق، ص 67.

فإن الليبيرالية من حيث هي مبدأ قد ضلت تمارس في أمريكا لدرجة لا يكاد يطرأ عليها أي تغيير"[1].

ومن خلال ذلك ركز لوك على الليبيرالية السياسية كونها اهتمت بالفرد وحريته الشخصية، وباعتبار أن النظام الليبيرالي يشكل اللبنة الأولى للسلطة والدولة، ويدعو إلى المساواة وتكريس الحقوق خاصة الطبيعية منها، هو ما قامت عليه الثورة الأمريكية وذلك من أجل التخلص من التسلط والقيود والاستغلال والظلم الذي مارسه الحكام والملوك، والدعوة إلى تغييرات الجوانب السياسية لأجل التحرر واحترام حريات البشر.

"وقد تم صياغة إعلان الاستقلال الأمريكي عام 1776 وفقا لفلسفة لوك، ففي هذا الإعلان يروي أهل المستعمرات الثائرون انتهاكات مبكرة بحقوقهم الطبيعية، ارتكبتها حكومة انجلترا التي احتجوا ضدها دون جدوى، وأعلنوا أنهم مضطرون الآن إلى الاستعانة بقوة السلاح، وتأسيس حكومة مستقلة إنهم يلجئون إلى السماء يطالبون رضا الشعب، وهو يعهد بسلطات محدودة إلى الحكومة الفيديرالية، وفصّل بوضوح السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية بعضهما عن بعض"[2].

"فحين نادت الثورة الأمريكية بحرية الفرد الشخصية إنما كانت في الواقع تردد نفس أنغام الحرية التي طالما رددها لوك، وثأر من أجلها، والتي تبلورت بعد ذلك في المناداة بالديمقراطية باسم الحرية والمساواة، وظهرت في شكل مقالتيه في الحكومة المدنية، والتي ظهرت في آراء جيفرسون، وفي نص وثيقة الاستقلال الأمريكية، تلك الوثيقة التي لم يكن

---

[1] برتراند راسل، حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1983، الجزء الثاني، ص 89.

[2] ويليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 171.

إعلان حقوق الإنسان: هي الحقوق المعترف بها للفرد بحيث إن هذه الحقوق تحد من سلطة الحكومة، وتقوم على حرية الوعي، الحرية الفردية، حرية الاجتماع مع وجود الدستور.

أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص 728.

مضمونها من ابتكار واضعيها، بل كانت مجرد تعبير عن آراء جون لوك وذلك بنص اعتراف جيفرسون أحد المشتركين في إعلانها، حين قال أنه لم يشعر بضرورة تدعو إلى ابتكار أكار جديدة لم يسبق إليها"[1].

كما اعتبر لوك أن للإنسان حقوق مطلقة، وأن حال الطبيعة تقوم على الحرية وحق الفرد يكمن في تنمية حريته والدفاع عنها، وعن كل ما يلزم منها من حقوق مثل: حق الملكية الشخصية لأنها موجودة في حال الطبيعة، وأنها سابقة عن المجتمع المدني، وهي حق طبيعي، أما فيما يخص المجتمع والحكومة فقد قسم لوك الحكومة إلى ثلاث سلطات غايتها خدمة الصالح العام وهي كالآتي: السلطة التشريعية (سن القوانين)، السلطة التنفيذية (تنفيذ القوانين)، السلطة الفيديرالية (مباشرة العلاقات الدولية مع المجتمع العالمي) وقد فصل لوك بين هذه السلطات الثلاث، أما عن وظيفة الحكومة وهي تقوم على حرية الأفراد[2].

يقول لوك في مقالة عن الحكومة المدنية: "إنه مادام الناس بطبيعتهم سواسية أحرارا مستقلا بعضهم عن بعض، فلا يجوز أن يُحرم أحد من حالته الطبيعية ليخضع لقوة سياسية يملكها شخص آخر، وأن يكون هذا الخضوع بغير إرادته"[3].

فالمبرر الوحيد لوجود الحكومة هو حماية الملكية الفردية، ويدخل الحسد في المليكة لأن المالك الحقيقي هو العنصر العقلي من الإنسان، وليس قيام حكومة في الناس هو الخير الأسمى، وإنما الخير الأسمى هو الحالة الطبيعية التي تخلو من الحكومة إذا خلت كذلك من احتمال اعتداء الأفراد بعضهم على بعض، فيدخل الامتنان عضوا في المجتمع الخاضع للدولة باختياره ليصون حقوقه، وليس كونه اجتماعيا بالطبع، فإن لم يجد تلك

[1] فاروق عبد المعطي، جون لوك، من فلاسفة الانجليز في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 15.

[2] ليو شتراوس، جوزيف كروسي، تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدغر، مرجع سابق، ص 43.

[3] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سابق، ص 24.

الحقوق مصونة كان له أن يخرج عن الجماعة ويثور عليها، وليس من حق الدولة حرمان الفرد من أملاكه إلا بموافقته، لأن الغاية الأولى والأخيرة من قيام الدولة هي صيانة الملكية، ذلك هو جون لوك الذي اتخذه الأمريكيون في عهد ثورتهم فيلسوفا لهم بحيث جعلوا مذهبهم أساس إعلان استقلالهم"[1].

وتجلى تأثير لوك الفلسفي في فرنسا أيضا خاصة بعد دعوته للحرية والدفاع عن الحقوق الشخصية الطبيعية والتي لا تمكن لأي سلطة أن يمارس مطلقيتها على تلك الحقوق، ومن خلال هذا قسم لوك الحكومة إلى سلطات ثلاث بغرض المحافظة على الحقوق، والدفاع عن الملكيات، وهو ما تأثر به فيما بعد فلاسفة في فرنسا أمثال روسو وفولتير ومونتسكيو.

"وكان له تأثير مباشر في نجاح الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر نتيجة لتأثير آراء لوك في فلاسفة التحرير الفرنسيين مثل فولتير ومونتسكيو وجون جاك روسو، فقد تبنى فولتير أفكار لوك عن الحرية والتسامح وظل طوال حياته يهاجم كل تعصب وخاصة الديني منه، وينادي بالحرية بينما أخذ مونتسكيو عن لوك نظرية في فصل السلطات وأخذ روسو عن نظرية العقد الاجتماعي"[2].

وبهذا فإن تأثير لوك على الثورة الفرنسية كان بارزا وهذا بعد تمجيده ودعوته للأفكار الحرة وتحقيق الحرية والمساواة السياسية، والإقرار بمبدأ المساواة الشعبية، فالثورة الفرنسية إنما قامت لأجل نشر أفكار جديدة وزوال سلطة الكنيسة، والقضاء على مطلقية الملوك لهدف المحافظة على الحقوق الطبيعية، وتحقيق الاستقرار السياسي، وتوحيد الشعب، والتأكيد على فكرة الحرية ونشر الفكر الواقعي وتعزيز الطبيعة الإنسانية، وتنوير عقول البشر من الظلام والجهل والخرافة، فشكلت فلسفته أساس إطار الثورة الفرنسية.

[1] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سابق ، ص 25.
[2] عزمي إسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص 20.

"ونتيجة لتأثير مونتسكيو الذي أُعتقد أن فلسفته السياسية تطوير لفلسفة لوك السياسية استقلت السلطة القضائية عن السلطتين التشريعية والتنفيذية"[1].

"ولقد عملت مبادئ لوك ومن تأثروا به في القرن الثامن عشر على قيام الثورة الفرنسية والأمريكية، وعلى تحديد المثل السياسية التي عرفت في غرب أوروبا باسم الفلسفة الليبيرالية وهي المثل التي تمثلت في حماية الحريات المهنية للفرد والتي تمثلت في حرية الفكر والدين والاجتماع، ولقد بدت هذه المبادئ واضحة في وثيقة الاستقلال الأمريكي وجاء فيها: 'أن الناس قد خلقوا سواسية وأنه لا ينبغي للسلطة أن تسلبهم حقوقهم الطبيعية في الحياة والحرية والسعادة، وأنه من أجل ذلك أقيمت الحكومات التي تستمد سلطانها من رضى المحكومين وأنه من حمق الشعب أن يغير هذه الحكومات إذا ما انقلبت هادمة لتلك الحريات'"[2].

فجون لوك كان أحد أهم أقطاب الليبيرالية ومؤسسها الحقيقي في أوروبا، مستندا إلى ذلك إلى الطبيعة البشرية والحقوق الطبيعية، ونظرية العقد الاجتماعي، ذلك أن فلسفته السياسية قامت على أهم مرتكزين هما الحرية والمساواة من خلال التأكيد على حق الإنسان في الحياة والحرية والتعبير والدين والعمل، فالليبيرالية إنما ترافقت مع عصر التنوير لجون لوك خاصة بعد تكريسه لسيادة الشعب وفصل السلطات، هذا من الناحية السياسية، أما من الجانب الاقتصادي فكان الاتجاه الليبيرالي يدعو إلى دعم النظام الاقتصادي القائم على تشجيع الحرية الفردية في القطاع الخاص، والسعي إلى السوق الحر، بحيث أن لوك استطاع الوصول إلى واقع جديد، وفهم الطبيعة الإنسانية وتشكيل أفكار من خلالها، تبني الحضارة البشرية، ويفهم ما أسيء فهمه، سواء كان ذلك في المجال الديني، أو الاجتماعي أو السياسي.

---

[1] ويليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 171.

[2] أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، مرجع سابق، ص 76.

"ومن الغريب حقا أن نجاح لوك الهائل يرتبط بالانتصار الكاسح الذي أحرزه نيوتن، ذلك أن فيزياء قد قصت على سلطة أرسطو بصورة نهائية حاسمة، وبالمثل فإن نظرية لوك السياسية وإن لم تكن مبتكرة إلا في القليل، قد نبذت حق الملوك الإلاهي، وسعت إلى إقامة نظرية جديدة للدولة مبنية على قانون الطبيعة الذي قال به المدرسيون بعد أن أدخلت عليه التعديلات التي تجعله ملائما للأوضاع الحديثة، ويظهر الطابع العلمي لهذه الجهود من خلال تأثيراتها على إعلان الاستغلال الأمريكي وفي فرنسا"[1].

ولقد اعتبرت ليبيرالية لوك في فرنسا وأمريكا بمثابة حركة ثورية ضخمة، كونها ساهمت في إحداث تغييرات جذرية سياسية كونه اعتبر أن الحرية والمساواة هما مرتكزات نظريته السياسية، وحيث دعت كل من أمريكا وفرنسا تبني هاته الفلسفة وحملت كل منهما شعار المساواة والحرية في التعبير والدين، لأن في هذا إقامة فلسفة جديدة تقوم على دعم سلطة العقل والتركيز على طبيعة الإنسان، وتشجيع المواهب والقدرات البشرية لإقامة فلسفة حياة جديدة، ويمكن القول أن فلسفة لوك السياسية قد نشأت في انجلترا، وانتعشت في جل القارة الأوروبية وفي القرن التاسع عشر، وقد ظل صداها إلى يومنا هذا.

"ورغم الثورات التي دعمت فلسفة لوك الليبيرالية سواء في ألمانيا أو فرنسا أو أمريكا، إلا أنه من الملاحظ أن الفلسفة الليبيرالية التي سادت القرن التاسع عشر كانت في جوهرها فلسفة تجريبية نفعية أكثر منها ثورية، وقد سادت غرب أوروبا وأمريكا ولكنها جعلت في انجلترا مركز لها بحيث ازدهرت فيها، وأصبحت في القرن التاسع عشر أعظم بلد أخذ بالتصنيع، ونجحت الليبيرالية في أن تصبح فلسفة وطنية تتبنى مبادئ إصلاح ترضي الطبقة العاملة، وتحمي مصالح الطبقة المتوسطة، وتحقق حرية التجارة، بل

[1] براتراند راسل، حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، مرجع سابق، ص 89.

اتسعت لتكون حلقة وصل بين الدعوة إلى الفردية المميزة لعصر الثورة الفرنسية، وبين الفلسفات الداعية لفائدة المجموع"[1].

"وعلى الرغم من أن لوك لم يكن من أعمق المفكرين أو أكثرهم أصالة فإن أعماله قد مارسوا تأثيرا قويا وباقيا في الفلسفة والسياسة معا، فهو في الفلسفة واحد ممن بدؤوا المذهب التجريبي الحديث، وهو اتجاه فكري طوره بعد ذلك باركلي وهيوم ثم بنتام وجون استوارت مل وفضلا عن ذلك فقد كانت حركة الموسوعيين الفرنسيين في القرن الثامن عشر متأثرة بلوك إلى حد بعيد، كذلك فإن الماركسية تدين بمذاقها العلمي لتأثير جون لوك"[2].

وبذلك فإن فلسفة لوك السياسية أو بالأحرى توجهه الليبيرالي قد تبناه العديد من الفلاسفة خاصة المتأثرين الذين لحقوا من بعده، حيث تبنوا أفكارا جديدة، تلك الأفكار التي تدعو إلى الحرية في التعبير والدين والحفاظ على الحقوق المدنية وقبول الآخر والمساواة ومحاربة كل ما يحد من الحرية الفردية، فهي بذلك تدعو إلى مبدأ تكافئ الفرص، وتعمل على الكشف عن طبيعة الإنسان الحقة التي تشارك في تجربة الحياة الاجتماعية والاقتصادية، لتحقيق أكبر ربح ممكن.

"ولقد كان خلفاء المذهب الليبيرالي عند لوك من أصحاب مذهب المنفعة، يدعون إلى أخلاق تقوم على النفع الذاتي لمستنير، وهي فكرة قد لا تستثير أنبل المشاعر في البسر، ولكنها في الوقت ذاته تتجنب كل الفظائع التي ارتكبت بطريقة بطولية حقا، ووضعت لنفسها أهدافا أكثر احتراما"[3].

[1] أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، مرجع سابق، ص 77.

[2] برتراند راسل، حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، مرجع سابق، ص 88.

[3] برتراند راسل، حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، مرجع سابق ، ص 91.

"ويعد جون استوارت مل (1873) مؤلف كتاب عن الحرية من أهم من تأثر والمبادئ لوك الليبيرالية، ومضى مل في الدفاع عن حريات الفرد وخاصة في حريته في التعبير عن آرائه إلى أبعد حد وهو ما مهد الطريق أيضا لمفكري الديمقراطية الليبيرالية وعلى رأسهم بنتام، وجون ديوي، وكانت نظرية علماء الاقتصاد الانجليز من أهم الدعامات التي استند إليها الفكر الليبيرالي في القرن التاسع عشر، وعلى رأس هؤلاء الاقتصاديين آدم سميث"[1].

"ولا شك أننا نذكر أن مدرسة لوك للحقوق الطبيعية كانت تؤكد على ضرورة مقاومة الحكومة المتعسفة والاستبدادية بينما كانت تحترم الملكية الشخصية وتعتبرها من الحقوق غير القابلة للتحول لأي جهة أو شخص، والمذهب النفعي أقام نظامه على المصلحة الذاتية المعقولة للأفراد الأحرار، ومن هنا يتضح لنا أن المذهب الليبيرالي الحديث كان في أوائل أيامه يشتمل على عدة من التيارات الفكرية، ولم تكن هذه التيارات في حالة من وفاق دائم، لكنها كانت تنزع جميعا إلى الأخذ بمفهوم سلبي للدولة وتقترب بعض الشيء من مبدأ (دعه يعمل، دعه يمر) كمثل أعلى لها"[2].

"يبدو لوك إذن في نظر الأجيال التالية عليه أول صاحب نظرية للحكم البرلماني، بحيث ألهمت أفكاره في إنجلترا محرري إعلان الحقوق عام 1689، ثم بعد ذلك بنحو محرري إعلان الاستقلال (1776)، والدستور الأمريكي (1787)، وكذلك الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان في أغسطس 1789، وبناء على ذلك يبقى لوك بلا منازع أبا لليبيرالية الكلاسيكية"[3].

---

[1] أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، مرجع سابق، ص 77.

[2] رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوربي الحديث، مرجع سابق، ص 348.

[3] كريستيان دولا كامباني، الفلسفة السياسية اليوم، أفكار ومجادلات، رهانات، ترجمة نبيل سعد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2003، ص 167.

"وبشكل عام فلا تزال أفكار لوك السياسية تشكل المرجعية العامة للتجارب السياسية البريطانية والأمريكية والفرنسية، وللفكر الليبيرالي بشكل عام، وكل كاتب في الشؤون الديمقراطية والممارسات البرلمانية، فهو مستند لا محالة إلى الأصول الليبيرالية التي بلورها جون لوك، ومن ثم يظل أثر لوك ماثلا سواء بشكله المباشر أو غير المباشر، في أي معالجة حديثة للفكر الليبيرالي"[1].

[1] محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص 175.

المبحث الثاني: أثره في التربية

وفضلا عن اهتمام لوك في المجال السياسي، وبعد أن انحدرت الليبيرالية من خلال فلسفته السياسية، وانتقلت آراؤه من إنجلترا إلى جل القارة الأوروبية حيث ساهمت أفكاره في تنوير العقل البشري، والدعوة إلى فلسفة حياة جديدة لإقامة طبيعة بشرية تسودها الحرية والمساواة، ومن جهة أخرى كانت لأفكاره التربوية صدى أيضا، فكان له تأثير إيجابي في المجال التربوي وهذا من خلال دعوته للتنشئة الاجتماعية ذات الطبيعة الخيرة، وبناء بيئة اجتماعية قائمة على السلوك السوي، والتربية الحسنة، والعمل على تصحيح نظرة الإنسان لقيم الخير وإرساء معاني روحية وخلقية وجمالية، تعبر عن كرامة الإنسان وفطرته النقية من أجل النهوض ببناء مجتمع خيّر تربوي هادف قائم على الحق والمساواة.

"وتعد البحوث النظرية أحد أشكال البحث التربوي فهي تسهم في إثراء الفكر التربوي، والنظرية التربوية، وتكشف الأبعاد التربوية للنظرة الفلسفية أو السياسية، ومجالات تأثيرها في فلسفة التربية، وفي نظرتها إلى الطبيعة البشرية، وانطلاقا من أن الفلسفة هي النظرية العامة للتربية على حد تعبير جون ديوي، فإن أي تطور في النظرية الفلسفية بأبعادها السياسية والأخلاقية والاجتماعية سينعكس تلقائيا على فلسفة التربية، وسيترك فيها آثارا واضحة في فلسفة التربية"[1].

ولقد تركت دراسة الطبيعة البشرية عند جون لوك ونظرية العقد الاجتماعي عند لوك أثرا بارزا في فلسفة التربية، وهو ما كان له صدى سواء في عصره أو في الفكر التربوي المعاصر، هذا الأخير الذي اتصل أيضا بمحاولة فهم طبيعة البشر، ومجالات المعرفة والمجتمع، وكان ذلك في إطار رؤيته الفلسفية في التربية من خلاله آرائه التربوية المختلفة

[1] محمود علي محمد، أثر نظرية العقد الاجتماعي في فلسفة التربية، اتحاد الجامعات الغربية للتربة وعلم النفس، العدد الأول، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا، 2009، ص 86.

المتصلة بأهداف ومجالات التربية المتنوعة، وهذا ما تجلى في بعض مؤلفاته التي ركزت على هذا المجال الهام.

"ولقد أشار لوك إلى آرائه التربوية في كثير من كتاباته، إلا أن كتابه آراء في التربية هو أشهرها، ويرى وك أن أوجه التربية ثلاثة، جسدي وعقلي وأخلاقي، وأن أهدافها ثلاثة أيضا، وهي قوة الجسد والفضيلة والمعرفة، فإن حصل الطفل على القوة الجسدية كان لا بد له من تحقيق الأهداف المتصلة في الفضيلة والحكمة والمعرفة، فإن لوك يقول: في التربية الجسدية عقل سليم في جسم سليم، وصف قصير لكنه كامل للحياة السعيدة في هذا العالم، ومن حصل على هذا حصل على كل ما يتمناه المرء من السعادة"[1].

بالإضافة إلى آراء لوك في المجال الأخلاقي نجد كتابه آراء في التربية الذي نشره عام 1693، مدافعا فيه عن حق الفرد في حريته الشخصية والفكرية، ومناديا باستقلال التعليم عن الكنيسة وعن الحكومة أيضا، وتضمنت خلاصة أفكاره التربوية ومقترحاته في تربية الأطفال والشباب وتعليمهم وفق طرق ومناهج علمية جديدة تتوافق مع ظروفهم وميولهم حتى يتمكنوا من مواجهة حياتهم عند الكبر رجالا أسوياء على علم وخلق، بالإضافة إلى رغبة لوك في تزويد التلاميذ بنتائج العلوم الطبيعية التي كانت تشير إلى التقدم الملحوظ في القرن السابع عشر، ورأى لوك ضرورة غرس الفضائل الاجتماعية في نفوس التلاميذ إلى جانب العلوم التي يدرسونها، وبهذا فهو يؤكد العنصر الأخلاقي شأنه شأن العنصر العقلي.[2]

"ويعرض لنا لوك جملة من الآراء القيمة في كتابه عن التربية والذي قصد به في الأساس أن يصون حرية الفرد في التفكير، فهو لكي يحقق للطفل هذه الحرية التي ينشدها

[1] محمد زيعور، عالم التربية، ماهية وتطلعات، مرجع سابق، ص 97.

[2] رواية عبد المنعم عباس، جون لوك، إمام الفلسفة التجريبية، مرجع سابق، ص 25.

له يطالبنا أن لا يكون التعليم عاما تحت إشراف حكومة أو كنيسة، لأن هذه أو تلك ستحاول أن تبث في النشء ما يتفق وأهوائها من الآراء والعقائد"[1].

"ويرى لوك أن التربية يجب أن تقصد إلى الكفاية العملية وحدها، وإذن فينبغي أن نضيق من تعليم اللغات بقدر ما نوسع من تعليم الحقائق، هذا ويجب أن تسبق اللغات الحديثة اللغات القديمة في الدراسة، ولا بد أن يدرس كلاهما بالتدريب العملي لا من الجانب العلمي، وتحقيقا لذلك الغرض يجب ألا تدرس قواعد اللغة إلا بعد أن يتمكن الطالب من التكلم بهذه اللغة"[2].

هذا وركز جون لوك على الجانب العملي من خلال الحث على الممارسة التي يمكن أن يتعود عليها الطفل، لأن في ذلك اكتساب للمعارف والمهارات أكثر من الجانب النظري، فالجانب النظري إنما ينمي مهارات المتعلم بالإضافة إلى أنه يساهم في تطوير القدرات الشخصية والاجتماعية، ولهذا يصر لوك على الجانب العملي المرتبط بالتأديب والتدريب، لا الجانب العلمي المرتبط بتلقين المعرفة حيث أولى أهمية بالغة للجانب التطبيقي كونه يساهم في تهذيب الأطفال وتربيتهم تربية سليمة قائمة على الفضائل والأخلاق الحميدة، وهو ما يساهم في خلق حياة ملؤها الطمأنينة والسعادة.

"ومضمون الفلسفة العملية عند لوك هو ما كل ما يقوم به الإنسان باعتباره ماهية، ويتوجه من عقله لبلوغ سعادته، فالخير والشر يتحددان تبعا لتحصيل الفرح أو الألم هما معيار كل سلوك من هنا، أي على القوانين الأخلاقية المرتبطة بالثواب والعقاب، إن الخير الأخلاقي أو الشر هو تبعا لذلك التوافق أو عدم التوافق بين سلوكنا الإرادي وقانون نستطيع بموجبه أن نعتمد الخير أو الشر تبعا لإرادة وسلطة المشرع"[3].

[1] زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 200.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] بيتر كونزمان وآخرون، أطلس الفلسفة، مرجع سابق، ص 121.

ومن بين الآثار التي تركتها نظرية لوك السياسية خاصة فيما تعلق بنظرية العقد الاجتماعي من فلسفة التربية ما يلي:

– النظرة إلى الطبيعة البشرية: رأى لوك أن الطبيعة البشرية مكونة من مجموعة من الغرائز والميول، لكن العقل يسيطر عليها، ويوجه قواها، وهي باقية مع الفرد بعد دخوله العقد الاجتماعي، وقد حملها معه من حال الطبيعة الأولى وهي:

1. غريزة حب البقاء والمحافظة على الذات والتي تولد مع الفرد وتدفعه إلى السعي لدوافع بقائه.
2. الميل الفطري لإحلال السلام وإقامة العدل.
3. حب التملك وهو أحد القوانين المقدسة لوجودنا البشري.

" كما أثر لوك في فلسفة التربية عندما أقر بمبدأ المساواة بين الطبائع البشرية وحريتها، في حال الطبيعة الأولى، وفي حال الناشئة بعد العقد الاجتماعي، حيث حل التنافس الشريف بين الأفراد، والحوار بدل الصراع والحرب، فالإنسان برأي لوك يمتلك العقل ويسعى نحو مصحلته، ومصلحة الجميع تقتضي إحلال السلام والحوار، فالغريزة عند لوك ليست جامحة بل تخضع لحكم العقل، والفرد لا يمكن أن يقبل بتسخير فرد آخر لمصلحته وإخضاعه، قال لوك: 'الشخص الذي يحاول إخضاع آخر لسيطرته يجب أن يعد نفسه في حالة حرب معه'"[1].

"بالإضافة إلى نشر لوك في كتابه بعض الأفكار في التربية إضافة سلسلة من الخطابات كتبها سابق إلى صديقه سأله عن نصيحة تخص أفضل طريقة لتربية ابنه الصغير، ويبدأ لوك بقوله: 'العقل السليم في الجسم السليم' هو وصف مختصر لكنه كامل للدولة السعيدة في هذا العالم، وفي خبرته الطيبة والتربوية يقدم تعليمات مفصلة عن

[1] بيتر كونزمان وآخرون، أطلس الفلسفة، مرجع سابق، ص 99.

التغذية والملبس والتدريب التي ينظر إليها كثيرون على أنها مفيدة باستمرار لتربية الأطفال الأصحاء، وربما لا يزال ينظر إلى بعضها على أنها نصيحة جيدة"[1].

"ويكتب في بعض الفقرات أشبه بعالم نفس سلوكي حديث يقول: 'إن عقل الطفل مثل قطعة من العجين إنه لا يكون مدفوعة إلا برغبة فطرية في اللذة وكراهية الألم، ويمكن للآباء والمعلمين أن يشكلوا العادات كما شاءوا'"[2].

ويؤكد جون لوك على المجال التربوي باعتباره مجالا فاعلا في المجتمع، وباعتباره ميدان إصلاحي من خلاله يستطيع الفرد التعرف إلى فهم طبيعته وسلوكه، وذوات الآخرين بالإضافة إلى اكتسابه العديد من المهارات والمعارف، والتعرف على ممارسة كيفية التواصل الاجتماعي والتربوي، وهذا من خلال تربية النشئ بصفة خاصة، وتمكينه من كيفية بناء معارفه، واكتسابه لمواقف من خلالها يستطيع المتربي من حل المشكلات التي تواجهه مع البشر في حياته اليومية.

"ويرى لوك أن حق الفرد الطبيعي المحافظة على حياته وحريته وأمنه وأملاكه، ويجب إنزال العقوبة ودفع العدوان عن الفرد، فهذا واجب على الدولة وحق له، وهذه الغرائز والميول أخذتها فلسفة التربية الحديثة بعين الاعتبار، وجسدتها في النظرية التربوية، وغدت من أهم مبادئ التربية الحديثة"[3].

واهتم لوك بأسس التربية ومجال علم النفس خاصة فيما تعلق بشخصية الطفل المتعلم، والتعرف على غرائزه وسلوكياته، ومحاولة فهمه بغرض تنشئة الطفل على شخصية سوية تكسبه ثقته بنفسه، وتؤثر عليه تأثيرا إيجابيا على شخصيته مستقبلا، وهو ما جعل جون لوك من بين أهم علماء علم النفس الحديث، لأنه ركن على الغوص في التعرف على الميول والغرائز بدلا من تلقين العلم فقط.

---

[1] ويليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 171.

[2] نفسه، ص 172.

[3] محمود على محمد، أثر نظرية العقد الاجتماعي في فلسفة التربية، مرجع سابق، ص 98.

"فعلم النفس السائد في تلك الفترة كان مبنيا على نظرية أرسطو في ملكات النفس ومواهبها، تقول إن اللغة والرياضيات هما خير ما يمكن هذه الملكات وينميها، ولم تعد لغة الجامعة والمدرسة، حيث حلت اللغة الفرنسية محلها في السياسة، وباتت المناهج اللغوية والأدبية تقليدية في القرن السابع عشر، فسيكولوجية لوك كانت تساعد هذه النظرية على الازدهار ولا تعاكسها، ففلسفة ذلك الزمن كانت لا تهتم بالميول، ولا تقبل الخبرات المكتسبة كأساس للعمل النفسي"[1].

هذا وركز لوك على تربية الطفل منذ النشأة سواء من الناحية النفسية أو الجسدية، والتأكيد والحرص على كيفية نمو الطفل الذهني والجسمي، سواء في المدرسة أو البيت بهدف تنمية قدراته، واكتشاف مواهبه، ومساعدته على الابتكار والإبداع، والتركيز على التوجيهات النفسية، والصحة بشكل عام، وهذا عن طريق المربين الموجودين في ذلك المجتمع، باعتبارهم فاعلين أيضا في بناء ونمو الشخصية النفسية للطفل. فالتربية الصالحة إنما تكون ناجمة عن المربي والمتربي في آن واحد.

"ويصر في بعض المواضع أنه لا بد أن تكون هناك رعاية تامة لقدرات الطفل واهتماماته، وعمل المربي هو أن يعمل على تنمية تلك القدرات والاهتمامات بطريقة طبيعية ودقيقة مع عناية خاصة بشخصية الطفل، والأهداف الأساسية في التربية هي الفضيلة والحكمة والتربية والتعليم"[2].

ومنه نرى تأكيد لوك على ضرورة ورعاية الطفل، وعن الدور المهم للمربين سواء في البيت أو المجتمع بهدف ترسيخ ثقافة التربية للأبناء، ودعمهم النفسي من أجل تدريبهم على مواجهة المشكلات التي قد تحيطهم بالإضافة إلى غرس الفضيلة في نفوسهم لتثبيت الوازع الديني في قلوبهم، ونشر المحبة، ومحاولة تربيتهم وتطهير نفوسهم من الحقد

[1] محمد زيعور، عالم التربية، ماهية وتطلعات، مرجع سابق، ص 96.
[2] ويليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 172.

والغل، لأنه إذا صلح أجيال المستقبل وكانت تنشئة الأبناء سليمة، كان المجتمع سليما، فمنطلق التربية عند لوك هو نتاج المجتمع وغايتها العمل على بنائع وصلاحه.

"ويؤكد لوك أن أول شيء يجب فعله هو أن يبعث في الطفل حب الله، ويعلمه الصلاة، ويجب أن يوجه إلى تكوين عادة قول الصدق باستمرار في كل مناسبة، غير أنه يمكن تعليم الطفل مواجهة الحقائق، والتفكير المستقيم، وأن يتعلم عن طريق الفعل والممارسة، ولا بد له من اكتساب لغة أجنبية بقدر الإمكان بدلا من حفظ قواعد النحو، ويجب على الآباء أن يكونوا حازمين في تأكيد سلطتهم عندما لا يكون الأطفال صغار، لكن عليهم أن لا يستخدموا العقوبات البدنية إلا بأقل قدر ممكن، وعندما يكبر الأطفال يجب أن يكونوا موضع ثقة من جانب آبائهم، ويناقشوا مشكلاتهم لكي يضل الآباء والأبناء أصدقاء"[1].

ومن هنا يتبين أن جون لوك يرى أنه على الطفل أن يمارس الوظائف العقلية، ووجب عليه أن يتمرن عليها منذ الصغر، لأن في ذلك تطوير للعقل، وتطور لقدرات الطفل خاصة في ملكة التفكير، وهذا بغية نمو البنية العقلية لكي يستطيع الطفل أن يتكيف مع بيئته مستخدما ما لديه من البنى العقلية، وهو ما يسهل ويساعد الطفل على تعزيز وظائفه العقلية، وتحسين مستوى التركيز لديه مع الآخرين.

"وهو يرى أن التربية العقلية تنحصر في تكوين العادات الفكرية عن طريق التمرن والانضباط، فهو يرى أيضا أن الرياضيات هي خير ما يستعمل لهذه الغاية، ولذلك يجب تعليم الرياضيات لكل من عندهم الوقت الكافي، ومن تتاح لهم الفرصة، ثم يقول: 'وليست الغاية جعلهم رياضيين بقدر ما هي جعلهم مخلوقات عاقلة"[2].

[1] ويليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 173.

[2] محمد زيعور، عالم التربية، ماهية وتطلعات، مرجع سابق، ص 99.

ويتابع رأيه فيقول: "أننا نسمي نفسنا عاقلين لأننا نستطيع أن نكون عاقلين إذا أردنا، ولكننا نستطيع القول بأن الطبيعة لا تمنحنا أكثر من البذور اللازمة لذلك، وأن التمرين ضروري لكي ننال صفة العقل، لقد قلت بوجوب دراسة الرياضيات في سبيل تكوين عادة المحاكمة العقلية، لا اعتقادا مني بأن الناس جميعهم يجب أن يصبحوا رياضيين، ولكن إيمانا مني بأن في إمكانهم، وقد حصلوا على ملكة المحاكمة الصحيحة أن ينقلوا هذه القابلية إلى أجزاء المعرفة الأخرى"[1].

"ولم تقتصر توجيهات لوك وتوصياته في مجالي العلم والتربية على تنمية الجوانب العلمية والعملية فحسب، بل تعدت ذلك إلى الجوانب الأخلاقية والاجتماعية في نفس الطفل منذ تربيته الأولى. فالتربية السليمة قوامها العلم الجاد، والخلق القويم، ووجب عليه أن يتحلى بالفضائل الحميدة مثل الشجاعة والمروءة والشرف والتضحية، كما ينبغي أن يكون هادئ الطبع مثابرا حلو المعشر، حسن العادة"[2].

كما كان جون لوك شديد الحرص على الجانب الأخلاقي، وركز على غرس الفضائل الأخلاقية للطفل منذ نشأته بهدف بناء شخصية مثالية متميزة قائمة على الإنسانية، وهذا مهم جدا لتحقيق التوازن داخل المجتمع لأن الإنسان الخلوق إنما دائما يساهم في إصلاح ذاته وإصلاح المجتمع.

وقد وضع جون لوك قوانين أخلاقية ثلاثة تمثلت في:

1. "القانون الإلاهي: إن مقياس الخطيئة والواجب كما كلف الله الإنسان به مباشرة هو مقياس يرتبط بالثواب والعقاب في الآخرة.

2. القانون المدني: حيث تضع الدولة القوانين التي يكلف بها المواطنون، وهي تحدد كيفية المعاقبة على التصرفات.

---

[1] نفسه، الصفحة نفسها.

[2] رواية عبد المنعم عباس، جون لوك.

....

3. قانون الرأي العام أو قانون السمعة: هو ما يسميه لوك أيضا بالقانون الفلسفي، ذلك أن الفلسفة هي أفضل متعامل مع ذلك، فهي تحدد معيار الفضيلة والرذيلة، معيار الآخرين والآراء"[1].

وتخطت نظرية لوك في التربية مجلي العلم والتربية والرياضة إلى مجال علم النفس، إذ يوجه نداء للمعلمين بعدم استخدام العصا في أثناء مزاولة مهمتهم، حيث أن العقاب المستمر، والقوة الزائدة من عوامل إعاقة التربية والتحصيل الجيد، ويرد أن أفضل الطرق بتربية الأطفال اتباع مبدأ القوة الحسنة"[2].

ومما تقدم يتبين لنا أن جون لوك استطاع أن يقدم أفكارا هامة في عصره، سواء في المجال المعرفي السياسي أو التربوي، وركز على المجال التربوي كونه مجالا بارزا في المجتمع، ونظرا لأهميته القصوى خاصة في التعامل مع الإنسان والآخر، وعلى الأطفال والمتعلمين بصفة خاصة، كما ركز ودعا إلى قدرة المربي وما يملكه من مواصفات وكفاءات، لأن المربي يؤثر تأثيرا إيجابيا على المتربي، وأشاد لوك بالمجال التربوي، ودعا إلى ضرورة تفعيله لأنه يساعد على تنشئة حسنة تميزه الفضائل الأخلاقية، مما يساهم في النهوض بالواقع، والإعلاء من شأن وقيمة المجتمع أمام المجتمعات الأخرى، ونستطيع أن نبرز أثر لوك وفلسفته من خلال الآثار التي تركها، والأفكار البارزة التي خلفها، وهو ما أخذه عليه وطوره فلاسفة من بعده.

"وما المصلح الاجتماعي إلا شخص استطاع بصفاء ذهنه، ودقة إحساسه، وعمق تفكيره، وتفتح وعيه في المفهومات التي تنقص المجتمع، وعلى الاتجاهات الكامنة فيه،

[1] بيتر كونزمان وآخرون، أطلس الفلسفة، مرجع سابق، ص 121.

[2] رواية عبد المنعم عباس، جون لوك، إمام الفلسفة التجريبية، مرجع سابق، ص 134.

أن يعبر تعبيرا صادقا عن هذه الاتجاهات، وأن يبلورها ويعبر عنها في شكل مفهومات جديدة تتناسب مع حاجة المجتمع إليها"[1].

"وقدم لوك نظرية لها أهميتها في مجال التربية أفاد منها الباحثون في عصره مثل جان جاك روسو، حيث تناول نظرية لوك وطورها وعدل فيها وأخرجها في مؤلفه الشهير في التربية (إيميل) الذي حاز قبول واستحسان المهتمين بالتربية في عصره. يقول ريتشارد آرون: 'لا يوجد كتاب للوك حازت قراءته وأهميته شهرة عريضة أهم من (آراء في التربية) حتى لقد أصبح لأهميته جزءا من النظرية التربوية العامة لبلده، ولبلاد كثيرة في العالم الأوروبي وقتذاك"[2].

[1] عزمي إسلام، جون لوك، مرجع سابق، ص 32.

[2] رواية عبد المنعم عباس، جون لوك، إمام الفلسفة التجريبية، مرجع سابق، ص 134.

المبحث الثالث: فلسفة جون لوك بين القبول والرفض

عند تطلعنا تاريخ وأفكار أي فيلسوف فإننا نستطيع من خلال فلسفته أن نفهم مختلف القضايا والمشكلات الفلسفية التي خاضها إلا أنه وبالرغم من الإنتاج الفلسفي والفكر العظيم الذي قد يقدمه لنا أي فيلسوف لا يمكن وأن تخلو فلسفته من الانتقادات كون مجال الفلسفة وأهم ميزاتها النقد، ومن انتقادات الفلاسفة لبعضهم تكونت الفلسفة ففي كل عصر تقوم فلسفة مختلفة عن الفلسفات السابقة والبناء عليها وتطويرها بأفكار تواكب تلك الحقبة التي وجد فيها ذلك الفيلسوف، وإن الهدف الأسمى من تطور الأفكار واختلاف الآراء وتعدد المذاهب الفلسفية هو الوصول إلى الحقيقة المطلقة.

فجون لوك وباعتباره فيلسوف طرح أفكار ونظريات علمية فلسفية وتربوية كانت بمثابة أساسيات وبدايات تشكيل المجتمع العربي إلا أن فلسفته تعرضت للعديد من الانتقادات من قبل فلاسفة العصر.

"كانت لفلسفة لوك التجريبية دورا مهما في نشأة لينبيتز العقلية ولكن كرد فعل لاتجاه لوك التجريبي الذي رد المعرفة البشرية كلها إلى التجربة ذلك لأن المعرفة عند لينبيتز تبدأ من مرحلة لا شعورية وصولا إلى المرحلة الحسية التي هي في نظره أعلى مراحل المعرفة وهذا كله يعارض أطروحات، كما عارض كل ما قاله لوك بتأثير أرسطو أنه لا شيء في العقل ما لم يكن من قبل في الحس وأكد أن الصحيح أنه لا شيء موجود في العقل ماعدا العقل نفسه"[1]

فجون لوك إنما ركز على أن مصدر معارفنا هي الحواس والتجربة وكان يرى أن العقل بمثابة صفحة بيضاء تنقش التجربة عليه ما تشاء وهذا ما كان يعارضه العقلانيون الذين يؤكدون على أن جل معارفنا وحقائقنا المطلقة موجودة في العقل.

[1] أحمد ناظم داود، نظرية المعرفة عند لوك، مجلة آداب الفراهيدي، العدد5/ العراق20/0 ص327.

" كما رفض لينبيتز تعريف المعرفة عند لوك فقد رفض كذلك ما ذهب إليه لوك من تماثل بين المعرفة واليقين على أساس أن ما أعرفه هو ما أنا على يقين منه وما يقصر على بلوغ اليقين لا يكون معرفة بالتالي النتيجة المترتبة على هذا القول بالفصل بين المعرفة وبين أعلى درجات الاحتمال، إذ أن الظن المبني على الاحتمال يجب أن يسمى معرفة أيضا في نظره وعلى ذلك فيجب أن تكون درجات المعرفة أربعا بدلا من الثلاث التي ذهب إليها لوك وهي الحدسية والبرهانية بالإضافة إلى المعرفة الاحتمالية "[1]

ولهذا فإن جون لوك يعارض الأفكار الفطرية الموجودة في العقل البشري فالعقليون أمثال ديكارت لينبيتز إنما يرون أن تلك الأفكار الموجودة في الذهن هي اليقين المطلق على خلاف لوك الذي يرى بأن الأفكار الموجودة في العقل البشري مثل فكرة الجوهر على أنها معارف فقط ومن خلال نظريته في المعرفة وجهت إليه انتقادات مختلفة من طرف فلاسفة عدة.

"وانتقد كوزان cousion لوك في مسألة وجود الأفكار الفطرية وأكد على أن طريقة لوك في مناقشة وجود الأفكار الفطرية لم تكن علمية لأن من الصعب أن نحصل على معلومات حول ما إذا كان الأطفال والبلهاء يعرفون هذه الأفكار أو لا يعرفونها، إذ لا توجد طريقة تمكننا من معرفة ذلك ويؤكد كوزان بأن الأطفال والبلهاء يعرفون الأفكار الفطرية بشرط أن تعرض لهم في أشكال محسوسة تناسب عقليتهم "[2]

ويؤكد لوك أن أيضا أن المدركات الموجودة في العقل مصدرها الحواس، فالحواس إنما تتلقى انطباعات الأشياء من العالم الخارجي والعقل يؤلفها وينظمها لتصبح بذلك معارف وإدراكات ومن خلال ذلك جعل الإحساس على مرتبة من الإدراك باعتبار أن الحواس هي المصدر الأول لهاته الإدراكات العقلية فالحواس هي بمثابة جسر يعبره العقل

[1] فاروق عبد المعطي، جون لوك من فلاسفة الإنجليز في العصر الحديث، مرجع سابق ص75.
[2] أحمد ناظم داود، نظرية المعرفة عند لوك، مرجع سابق، ص328.

أثناء إدراكه للموضوعات وهي أيضا بمثابة نوافذ يطل منها العقل على العالم الخارجي فلوك إنما أقر بمصدر كل من الإحساس والإدراك وهو ما جعل نظريته المعرفية محل تناقض.

" وبالرغم أن لوك رفض الأفكار الفطرية في العقل البشري وأكد أن العقل لا يعرف سوى أفكاره إلا أننا نجده يعود إلى إقرار وجود بعض الأفكار الفطرية في العقل البشري أو أفكار مطبوعة في العقل البشري مثل وجود الله والنفس ووجود العالم الخارجي، واعتبر المؤرخون موقف لوك من مسألة عرق الفرد من وجود العالم الخارجي يتسع بالتناقض، إذ أنه يقرر بأن الإنسان لا يعرف سوى أفكاره التي قد لا تكون متطابقة للأشياء الخارجية أي الأشياء كما هي في الطبيعة ولكنه يعود فيقرر بأن الموجودات الخارجية أو الأشياء المادية هي التي تؤثر على الحواس وبذلك تنشأ المعرفة "[1]

" وتتواصل انتقادات لوك في نظريته للمعرفة كما يلي:" لقد جعل لها مصدران أساسيين هما المصدر التجريبي الخارجي والمصدر الحدسي الباطني وهما مصدران متضادتان مختلفتان، ثم زاد لوك الطين بلة عندما جعل المعرفة الإنسانية لا تتم إلا بتضافر قطبيها وهما الإحساس والفكر الداخلي معا فجعل عمليات الإحساس عمليات سلبية بينما جعل الفكر الداخلي ذات فعاليات انجذابيه إذن فمصدر المعرفة الأساسي وهو الحواس والمعطيات الحسية، مصدر سلبي، ولقد أصاب النسق المعرفي عند لوك في نهاية الأمر شيء من الخلط و الاضطراب حتى أنه بدلا من تحقيق معرفة تجريبية يقينية جعلها معرفة إنسانية قاصرة بسبب عدم كفاية الأفكار."[2]

[1] أحمد ناظم داود، نظرية المعرفة عند لوك، مرجع سابق ، ص329.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة، من ديكارت إلى هيوم، من ديكارت إلى هيوم، مرجع سابق ص295.

أما الحالة الطبيعية والفلسفة السياسية عند لوك وفي نظرته إلى الدولة لم يتسلم هذا الأخير النقد الموجه له من قبل الباحثين في آرائه خاصة مع توماس هوبنز كونه عالج القضايا التي تطرق إليها لوك مثل الطبيعة البشرية والعقد الاجتماعي و نضرتهما للدولة.

"ويمكننا القول أن لوك بخلاف هوبز ميز بين المجتمع الذي يعمل بشكل عفوي بطريقة منظمة والذي يمكن أن يوجد في حالة الطبيعة والدولة التي تمثل تنظيما سياسيا والتي نتجت عن عقد اجتماعي، وهدف الدولة عند لوك تأمين السلم وهدفها فوق كل شيء وقبل كل شيء هو حماية الملكية الفردية، وهنا تتعارض وجهة نظر لوك تعارضا أكيدا مع الرأي الشائع في العصور القديمة والوسطى في أن مهمة الدولة التحقيق الذاتي الأخلاقي فتأمين الملكية الفردية بحسب وجهة النظر التقليدية هو أقل أهمية من تلك المهمة الأخلاقية الأساسية "[1].

فمهمة الدولة عند لوك حماية الملكية الفردية والحفاظ على الحقوق الطبيعية إلا أن هذا أقل من المهمة الأخلاقية كون أن الدولة حمايتها للملكيات الفردية تكون مهمتها ضرورية إلا لهاته المهمة وهذا ما يكرس للأنانية باعتبار أن كل فرد في المجتمع يحاول أن يؤمن ممتلكاته فقط وهو ما يكرس للأنانية ففي هذا تناقض للوك في قوله أن الدولة تكفل الحقوق وتحافظ على الحقوق لتسود المساوات في حين أنه في باطن الأمر أن هاته المهمة تفتقد للمهنة الأخلاقية.

وفي نظرته للطبيعة البشرية أيضا ركز لوك على الحالة الفطرية الطيبة والمساوات الطبيعية بين الأفراد وحسب لوك إنما نشوء الدولة يكفل الحقوق ويضمن الحريات بحيث لا يستطيع أحد أن يؤذي الآخر في صحته أو ممتلكاته أو أي شيء آخر يملكه ومن هذا المنطلق قرر لوك بضرورة الانتقال إلى مجتمع بحيث أن لا يتدخل أحد في حياة الآخر

[1] غنار سكيربك، تلز غيلجي، تاريخ الفكر العربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، مرجع سابق ص467.

وألا يهدده سواء في حياته أو ملكيته وأن يفعل الفرد ما يريد بشرط ألا يؤذي نفسه أو غيره وهو ما أثار جدلا لمعارضيه حول هذا الرأي.

" فعندما حاول الأفراد أن يهربوا من حالة الطبيعة ويدخلوا في مجتمع منظم سياسيا فإنهم لم يفعلوا ذلك بسبب الخوف من الموت بل لأنهم أدركوا أنهم سيكونون في مجتمع منظم أكثر أمانا من حالة الطبيعة "[1].

كما واجهت نظرية لوك في الجوهر انتقادات حيث اهتم لوك اهتماما شديدا لهذه الفكرة وأكد بأن هذا الجوهر لا نعرف منه إلا صفاته وهو الشيء القائم بذاته لا يستطيع الإنسان أن يدركه بعقله كون قدرته محدودة فالإنسان لا يستطيع أن يدرك طبيعته وماهيته " و على الرغم من أن لوك تصور الله تعالى جوهرا طلا متناهيا روحيا إلا أنه رفض أن تكون معرفة الإنسان الذي يجهل ماهيته معرفة فطرية، كذلك لم يستطع لوك تقديم براهين تثبت وجود الله تعالى بل إنه سلم بوجوده الأزلي تسليما استنادا إلى وجود الإنسان أما عن صفات الله فإن لوك يقول:" إنما لا نستطيع مجرد الأمل في معرفته كاملا كما هو كائن فعلا لكننا نكون صورة أو فكرة عنه فحسب فنحن نتصور في الله جميع صفات الكمال والخير "[2].

وفي رسالته عن التسامح حيث أقر لوك بفصل الدين عن الدولة ورأى أنه من الضروري أن تمارس كل مؤسسة شؤونها على حدى، فالدين إنما يكون مجاله مقتصر على العقائد والعبادات وإشباع حاجات الإنسان الروحية أما الدولة فتكون وضيفتها السهر على أمن وحماية حقوق الأفراد وممتلكاتهم ورعاية مصالحهم، وفي جزئيته هذه لاقت عديد من الانتقادات من طرف الباحثين التي تم توجيهها له.

[1] غنار سكيربك، تلز غيلجي، تاريخ الفكر العربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، مرجع سابق، ص468.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة، من ديكارت إلى هيوم، من ديكارت إلى هيوم، مرجع سابق ص294.

" أما نظريته السياسية فكانت رد فعل للأحداث السياسية التي وقعت في أيامه مما جعله ينادي بفصل الدين عن الدولة متناسيا خطأ الاعتقاد فالدين لا ينفصل عن الحياة برمتها، ولو فعلنا ذلك لكنا كمن يحرث في البحر، لقد أنزل الله تعالى الأديان والتي اختتمت بالدين الإسلامي حتى أصبح هو الدين الوحيد الذي يعترف به الله تعالى ليعالج كل شؤون الحياة الإنسانية في مجال العبادات والعقائد والتشريعات والأحوال الشخصية والحرب والسياسة والأخلاق والمعاملات وسائر نواحي الحياة"[1].

من كل ما تقدم يمكننا القول كخلاصة أن فكر جون لوك هو صورة منحازة لأحد طرفي الصراع الذي عاشته أوروبا ، صراع الدولة المدنية التي تعكسها فكرة الحرية والديمقراطية والتي انحاز لها لوك ، وسلطة رجال الدين التي تجسدها الكنيسة .

اذن بالرغم من بعض الأفكار الوجيهة التي نادى بها خصوصا دعوته للتسامح والسلام إلا أنها تبقى أفكار منبتها غربي وتربتها غربية وجب التعامل معها بحذر شديد.

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة، من ديكارت إلى هيوم، من ديكارت إلى هيوم، مرجع سابق ص296.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث وطبقا لما سبق تقديمه من فصول وأفكار وآراء، ومن خلال ما تم طرحه في محتوى البحث والمتضمن إشكالية الطبيعة البشرية من المنظور الفلسفي عند أحد أعمدة الفكر الغربي وهو جون لوك، يمكن القول أن هذه الإشكالية مختلفة الأبعاد ومتغيرة نسبية على مر العصور، باعتبار أن الإنسان كائن حي تتحكم فيه العديد من العوامل العقلية والنفسية، واعتبر الفيلسوف أن ما ميز طبيعة البشر في حالتهم الفطرية هو الخير فكان الأفراد يعيشون حالة تسير وفق القانون الطبيعي، وأن جميعهم ملزمين باتباع ذلك القانون عن طريق الاحتكام إلى العقل، وعلى اعتبار أنهم سواسية أمام الله في الحقوق والحريات والملكيات، ولذلك افترض لوك في الطبيعة البشرية للأفراد حالة الحرية الكاملة التي تمكن الأفراد من اتخاذ قراراتهم، وتحديد سلوكاتهم وأفعالهم ضمن قانون الطبيعة الذي يمليه العقل دون أن يؤذي أحدهم الآخر، فالطبيعة البشرية إنما هي خيرة، فقد قرر لوك أن الإنسان خير بطبيعته وأنه متى كان حرا تصرف في حدود الخير الخاص والعام مما يجسد المساواة بين الأفراد جميعا، كما اعتبر جون لوك أن انتقال الأفراد من الحالة الطبيعية إلى الحالة السياسية يكون عن طريق تعاقد الأفراد فيما بينهم من خلال نظرية العقد الاجتماعي بغرض وصولهم إلى مجتمع أكثر أمانا وتنظيما من الحالة الطبيعية الأولى، وهو ما كان له آثار إيجابية من خلال معالجته لمبدأ الطبيعة البشرية.

وتشكل فلسفة جون لوك إحدى أهم الفلسفات في الفكر الغربي خاصة فيما تعلق بنظرياته السياسية الليبيرالية، وبعض الأفكار عن التربية، ونظريته المتعلقة بالفصل بين الكنيسة والدولة والحرية الدينية، بالإضافة إلى العقلانية التجريبية.

هذا ويعتبر لوك أحد أعمدة الفلسفة التجريبية في الفكر الغربي، فقد طور نظرياته بناء على تأثره بفلاسفة ومناهج علمية سادت من حوله، إلا أن فلسفته هي الأخرى كانت ذات تأثير واسع وفتحت مجالا جديدا للبحث الفلسفي اختلف عن مجالات الفلسفات

التقليدية السابقة، وقد تطورت فلسفته لاحقا مع فلاسفة تأثروا به وطوروا في نظرياته والتي مازالت راسخة إلى يومنا هذا.

وبالرغم من إنجازاته في مجتمعه البريطاني وفي الفكر الأوروبي، إلا أن فلسفته شهدت بعض الانتقادات اللاذعة في العديد من القضايا التي أبدى فيها وجهة نظره .

يبقى في الأخير أن نشير إلى أنه يجب النظر إلى هذه الفلسفة، بعيدا عن كل مظهر من مظاهر التعصب والانغلاق ، باعتبارها فلسفة غربية نشأت في ظروف خاصة عرفتها أوروبا الغربية ، فهي فلسفة تحمل في ثناياها بعض ما يتعارض مع طبيعة قيمنا خاصة الدينية منها .

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية:

1. القرءان الكريم
2. جون لوك، الحكم المدني، ترجمة ماجد فخري، دار الطليعة، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، د ط، 1953.
3. جون لوك، الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو، ترجمة شوقي الكيال، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، دس.
4. جون لوك رسالة في التسامح، ترجمة منى أبو سنة، تقديم ومراجعة مراد وهبة، دار المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، مصر، ط1، 1997.

المصادر باللغة الإنجليزية:

1. JHON LOCKE, Essay concernning human understanding, ed, S, P, Lampreecht, scribners NEW YORK, 1928.

المراجع:

1. إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، مصر، دط، 2001.
2. أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، 1995.
3. اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، القرن السابع عشر، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1993، الجزء الرابع.
4. اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، العصر الوسيط والنهضة، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، الجزء الثالث.
5. اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، العصر الوسيط والنهضة، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1988.
6. أحمد محمود صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، العقليون والذوقيون أو النظر والعمل، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، دس.
7. أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، 1995.

8. آدلر ألفريد، الطبيعة البشرية، ترجمة عادل نجيب بشرى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
9. أوغسطين، مدينة الله، ترجمة الخور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2008، المجلد الثالث.
10. أرسطو طاليس، كتاب النفس، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة جورج شحاتة قنواتي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط2، 2015.
11. اتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق إمام عبد الفتاح إمام، مدبولي للنشر، الكويت، ط3، 1996.
12. برتراند راسل، حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1983، الجزء الثاني.
13. توماس هوبز، اللفياتان، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب، مراجعة وتقديم رضوان السيد، دار الفرابي لهيئة أبو ظبي للثقافة والتراث أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011.
14. جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة وتقديم محمد لبيب النجيحي، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1936.
15. جون دن، جون لوك، مقدمة قصيرة جدا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2016.
16. جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، ترجمة ناجي الدراوشة، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010، الجزء الثاني.
17. حسن إبراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، التربية والطبيعة الإنسانية، دار عالم الكتب، الرياض، 1986م.
18. رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة، محمود محمد الخضيري، مراجعة، محمد مصطفى حلمي، دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة، مصر، ط2، 1986، ص 101 .فاروق عبد المعطي، أرسطو، أستاذ فلاسفة اليونان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.
19. زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة، دط، 1936.
20. محمود فهمي زيدان، في النفس والجسد، بحث في الفلسفة المعاصرة، دار النهضة الغربية، بيروت، لبنان، دط، 1980.
21. محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط2، 2014.

22. محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، دار الفكر، دمشق، سوريا، دط، 2010.
23. وولتر تسيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 1984.
24. وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، ترجمة ومراجعة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، دط، 2001.
25. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2012.
26. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، دط، دس.
27. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2012.

قائمة الموسوعات:

1. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول منA – G ، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001.
2. جميل صيليا، المعجم الفلسفي، ج2، من ط إلى ي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1912.
3. بيتز كونزمان وآخرون، أطلس الفلسفة، ترجمة جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط2، 2007.
4. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، من أ إلى س، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1، 1984.
5. جورج طرابشي، معجم الفلاسفة (الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهتيون، المتصوفون) دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3، 2006.
6. نجيب الحصادي، دليل اكسفورد، الفلسفة، الجزء الأول من أ إلى ط، ترجمة تدهوندرتش، تحرير الترجمة منصور محمد البابور، محمد حسن أبو بكر، مراجعة اللغة عبد القادر الطلعي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، دط، 2003.
7. جونثان رى وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل، مراجعة وإشراف زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2013.

قائمة المجلات والدوريات:

1. أحمد ناظم داود، نظرية المعرفة عند لوك، مجلة آداب الفراهيدي، العدد5/ العراق20/0 .
2. محمود علي محمد، أثر نظرية العقد الاجتماعي في فلسفة التربية، اتحاد الجامعات الغربية للتربة وعلم النفس، العدد الأول، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا، 2009.
3. حامد عبد الحمزة محمد، النظرية الأخلاقية في فلسفة القديس توما الاكويني، العدد الثالث، كلية العلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة بابل، العراق، 2016.
4. نعمون مسعود، التأسيس الفلسفي في فكرة حقوق الإنسان عند روسو، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، فريدة غنوة، حيرش، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة 2008، منشورة .
5. ديما عيسى محمود، الطبيعة البشرية عند فلاسفة التنوير الفرنسي وأبعادها التربوية، دراسة تحليلة مقارنة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في أصول التربية، محمود على محمد، كلية التربية، جامعة دمشق 2015
6. عليان عبد الله الحولي، فايز كمال شلدان، خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم وانعكاساتها التربوية، متاح علي. www.pdffactory.com
7. http://www.anfasse.wekipedia.org
8. www.http//ar.wikipedia.or

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة أ

الفصل الأول في سؤال مفهـــوم الطبيـــعة الإنســـانية(مقـــاربة تـــاريخية)

المبحث الأول: مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفلسفة اليونانية. 5

1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر السوفسطائيين. 5
2. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر سقراط. 12
3. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر أفلاطون. 16
4. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر أرسطو. 18

المبحث الثاني: مفهوم الطبيعة الإنسانية في العصور الوسطى. 22

1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفلسفة المسيحية. 22

1.1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر القديس أوغسطين. 23

مفهوم الطبيعة الإنسانية مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر توما الإكويني. 28

2. مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفلسفة الإسلامية. 31

2-1-مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم. 31

2-2 مفهوم الطبيعة الإنسانية عند المعتزلة. 32

المبحث الثالث: الطبيعة الإنسانية في العصر الحديث. 38

1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر ديكارت. 39
2. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر توماس هوبز. 43

المبحث الرابع: مفهوم الطبيعة الإنسانية الطبيعة الإنسانية في فلسفة التنوير. 49

1. مفهوم الطبيعة الإنسانية في فكر جون جاك روسو. 50

الفصل الثاني سؤال الطبيعة الإنسانية في فلسفة جون لوك

المبحث الأول: مصادر فكر جون لوك 58

المبحث الثاني: ماهية الطبيعة الإنسانية عند جون لوك 73

المبحث الثالث: الانتقال من الحالة الطبيعية إلى المجتمع السياسي عند جون لوك 81

الفصل الثالث أثر فلسفة جون لوك في الفكر الفلسفي

المبحث الأول: أثره في الفكر السياسي 89

المبحث الثاني: أثره في التربية 100

المبحث الثالث: فلسفة جون لوك بين القبول والرفض 110

خاتمة 117

قائمة المصادر والمراجع 120

فهرس المحتويات 125

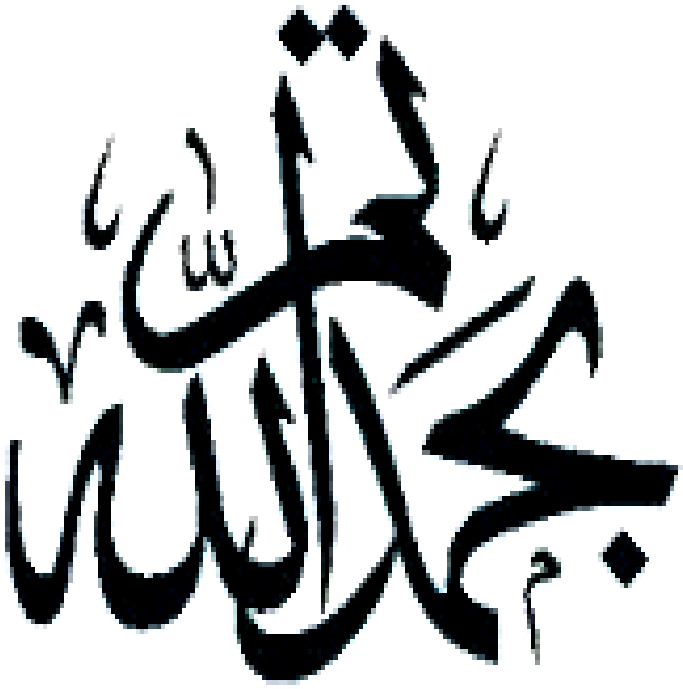
تم بحمد الله